حنطة

لافتة نظري

حنطة | السنة الثانية | العدد ١١ | ١٥ تشرين الثاني ٢٠١٣ | مستقلة شهرية

السوريات هنّ السوريات ..
ناجي الجرف، شادي السيد

رشا عمران على بيدر حنطة
حوار ياسمين مرعي

نون النسوة السورية ..
أحمد عيساوي

الفن السوري في عهد البعث، صناعة ممنهجة ..
جوان بهلوي

جدلية العسكرة والتنمية، الاقتصاد السوري أنموذجاً ..
د. عبدالله الفراتي

إضاءات حول قوانين ومراسيم تعسفية بحق الكرد ...
ولات احمه

ذات طفولة ...
علي صدرالدين حمودي

لوحة الغلاف :
الفنان أنس سلامة

إن الآراء الواردة في حنطة تعبر عن رأي الكاتب ولاتعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

www.hentah.com

السوريات هنّ السوريات

تحقيق: ناجي الجرف – شادي السيد

من مظاهرات حلب ٢٠١٣ – عدسة حلب نيوز

الثورة أنثى، عبارةٌ جسّدها السوريون من خلال مظاهراتهم ولافتاتهم وحواراتهم منذ نداء الكرامة الأول في مظاهرة الحميدية في دمشق وحتى اليوم، شاركت الأنثى السورية في الحراك الذي شهدته المدن والقرى السورية، من خلال الهتافات وصناعة الشعارات، تحت ظروف القمع والقتل من نظامٍ همجيٍّ لا يمتُّ للإنسانية بصلة، نزلت النساء السوريات في شوارع درعا لفكّ الحصار والمطالبة بتحرير أبنائهن وأزواجهن من معتقلات العسف الأسدي. لم تخلُ منهن ساحات دمشق، وأبرزها مظاهرات المزة ومشاركة الآلاف من الدمشقيات وتوجههن إلى قصر الأسد، ولايخفى على أحدٍ دانة ابراهيم الجوابرة والطريقة السادية لاعتقالها وإسكات صوت الحق من قِبل قطعان الأسد، والأمثلة كثيرةٌ لانخراط المرأة في ميادين التظاهر.

توجز هدى تجربتها بعددٍ من الكلمات تتوازى مع اقتدار معلمة أطفال، لا يخلو من عاطفة أم حنون: «**أرى أن المرأة السورية قادرةٌ ومتمكنة، من حيث كمّ المشاركات التي قدمتها للثورة في كل المجالات التي استطاعت اختراقها، حتى وإن كان في أقل الأحوال من خلال خوفها ودعائها بالنصر لأولاد بلدها، أما بالنسبة لي، أنا لم أقدم شيئاً بالمقارنة مع غيري من السوريات، قدمت ما استطعت تقديمه، في محيطي ومن خلال مهنتي أيضاً.. حتى لو استمرت ثورتنا أكثر بكثير مما كنا نتوقع، سأبقى متفائلةً بالنصر، ومتفائلةً بأن جهدنا لن يذهب سدى، أنا مستمرةٌ طالما هناك ضحكة طفل في منطقةٍ محاصرة، صراحةً؛ من هذه الضحكة أستمد قوتي.**»

على امتداد الوطن اخترقت المرأة السورية كل العقد التي أورثها إياها نظام الأسد البطريركي، حول دونية المرأة، معتمداً في حجته غير المعلنة على فهمٍ خاطئٍ للديانات والطوائف والقوميات، وراسماً صورةً نمطيةً للمرأة الجسد المطيعة اللطيفة، التي قد تتبوأ منصباً في برلمانٍ أو وزارة كعطيّةٍ من عطايا القائد الواحد الأحد، وكمكرمةٍ تاريخيةٍ تضاف إلى مكارمه التي لا تنتهي، يمنحها لشعبه الغنميّ الذي اعتاد على التصفيق والرقص على إشارات عناصر ومرتزقة الأمن، الحارس لعظمة وهيبة الأب الملهِم والملهَم.

حنان سيدةٌ من دوما، المدينة الأكبر في ريف دمشق، حدثتنا عن مشاركتها في مدينةٍ كانت وما زالت رقماً صعباً أمام آلة النظام الإعلامية والعسكرية: «**منذ بداية الاحتجاجات في مدينتي شاركت مع مجموعةٍ من نساء المدينة في العمل الإغاثي والدعم النفسي والحراك الثوري بشكلٍ عام, بالنسبة للأيتام فقد كان عملي الأساسي والأهم، خاصةً وأنني أدير معهداً للأيتام في المدينة، ورغم كل التضييق كالمساءلة الأمنية المتكررة وكثرة الحواجز الثابتة والمتحركة في المدينة، كنا مصرات على متابعة العمل في المعهد، حيث تولد لدينا شعورٌ أن هؤلاء الأيتام لا يملكون من معيلٍ بعد الله غيرنا.**»

يلمع بريقٌ من أملٍ في عيني حنان وهي تتذكر البدايات، وعملها في إغاثة النازحين الذين استضافتهم دوما، وخاصة بعد الحد من حركة رجال المدينة بسبب وجود أسماء أغلبهم على الحواجز المنتشرة، بالإضافة إلى دورها في كتابة اللافتات والإعداد للمظاهرات، وتطرب حنان وهي تتذكر كيف كانت ساحات المدينة تتحول إلى مهرجانٍ يوميّ مزينةً بأصوات منشدي الحرية.

مع تفجر الثورة المسلحة وتحولها عن مسارها السلمي، لم تتوقف النساء السوريات عن فاعليتهن، بل كان لهن الدور الكبير في شحذ الهمم وتشجيع أبنائهن وأزواجهن للنزول لساحات الجهاد وحماية الأرض والعرض، ومن لا يعرف خنساء جبل الزاوية التي استقبلت الشهيد الرابع من أبنائها شامخةً مرفوعة الرأس، لتعلمنا مجدداً معنى الصبر والتضحية في سبيل حرية الوطن، ولتحمل لقبها بجدارة.

ولاننسى دورهن الطبي في تضميد الجروح وتقديم الاسعافات الأولية والعمل كمتطوعاتٍ في المشافي الميدانية، رغم الظروف الصعبة من حصارٍ واستهدافٍ لتلك المشافي، إضافةً لتأمين الغذاء والماء للرجال على الجبهات. كما برزت بعض النسوة بحملهن للسلاح والوقوف في خندقٍ واحدٍ مع الرجل، لتخلع عنها طبيعتها المرهفة والحساسة كما في جبهات حلب ودرعا وباقي جبهات سوريا.

وكما كان لهن دورهن كناشطاتٍ إعلامياتٍ وكاتباتٍ صحفيات في الصحف الإلكترونية وصفحات التواصل الاجتماعي، وناطقاتٍ على شاشات التلفزة لنقل صورة مايجري من أحداثٍ وجرائم وحشية مرتكبةٍ للعالم أجمع، إضافةً لعملهن كمدوّناتٍ وموثّقاتٍ لانتهاكات حقوق الإنسان، مما عرّض معظمهن للاعتقال والإهانة اللفظية والجسدية، واتهامهن بالعمالة الأجنبية، كطلّ الملوحي ابنة الثمانية عشرة عاماً، إلى أن بلغ عدد النساء المعتقلات في أقبية السجون والأفرع الأمنية حسب تقديراتٍ لناشطي الثورة مايقارب ال ٤٠٣٠٠ معتقلةٍ يعيشن ظروفاً إنسانيةً وصحيةً مترديةً، ويتعرضن لشتى أنواع التعذيب بما فيها حالات الاغتصاب المنهجة لكسر عزيمتهن وثنيهن عن المضي في ثورتهم.

إلى الجنوب من دمشق ما زالت سارة مصرةً على البقاء بجانب أبناء مدينتها، تقول سارة ابنة درعا: «**منذ بداية الاحتجاجات في ساحة الجامع العمري في درعا البلد، كانت مشاركة النساء واضحةً، ليست النساء فحسب، كنا نشارك في المظاهرات نساءً ورجالاً، شيوخاً وأطفالاً، الجميع كان في الساحات يطالب بالحرية، كان عمل النساء الأبرز والأكثر فعاليةً في إسعاف المصابين الذين كانوا يسقطون يومياً برصاص قوات الأمن وجيش النظام، كنّا خلية نحلٍ لا تهدأ، نتظاهر وننشد**

ونداوي المصابين، ونتقاسم الفرح مع أمهات وأخوات الشهداء أثناء زفاف عريسهن شهيداً بطلاً، نعم كنا نفرح بشهدائنا ونحن نزفهم، كان الشعور لدى أغلبنا أن الحرية والكرامة لن تقبل بمهرٍ أقلَّ من الشهادة لنصل إليها.»

راقب العالم معاناتهن داخل مخيمات النزوح وشظف العيش وتعثر الإنسانية أمام مأساتهن، حيث اضطر معظمهن للعمل في مشاغل للخياطة وكخادماتٍ في المنازل وفلاحاتٍ في المزارع، ليحصلن على أجرٍ بسيطٍ لا يسدُّ رمق أطفالهن بعيداً عن معيلٍ لهن هو إما معتقلٌ أو شهيدٌ أو مصاب، ومع هذا فقد عمد النظام إلى أشد الوسائل دناءةً ليحبط عزيمتهن، ويطعن في كرامتهن وشرفهن، من خلال تسخير أبواقه وإعلامه من داخل سوريا وخارجها، لتلفيق التهم الحقيرة والترويج لها كما في قصة مخيم الزعتري وتحوله لبيت دعارةٍ حسب زعمهم، والتسويق لفكرة زواج القاصرات بحجة الكسب المادي.

ولو تطرقنا لعدد النساء السوريات اللواتي قتلن على يد قوات النظام حسب المرصد السوري لحقوق الانسان فقد بلغ ٨٦٦٠ شهيدة سقطن على أرض سوريا.

تمسح سارة دمعتها وتتابع بنفس الصوت الواثق: «**في أيام الحصار وما أكثرها كانت مهمتنا إدخال المواد الإغاثية والطبية إلى درعا، وتمريرها عبر الحواجز، أحياناً أخرج وأدخل عبر نفس الحواجز أكثر من ثلاث مراتٍ لتمرير كمياتٍ أكبر من هذه المواد، لست أنا وحدي، بالطبع أغلب فتيات درعا كنّ يقمنّ بنفس المهمة.**»

ولدى سؤال سارة حول السبب في خروجها في المظاهرات أجابت مع نظرةٍ فيها الكثير من الاستهجان وبلهجتها الحورانية: «**بلد صارت مضرب مثل بالتخلف وكل يوم عم ترجع لورا، صحة خدمات تعليم زفت، ظلم وقهر وفساد، من كل عقلك عم تسألني ليش شاركت بالثورة؟؟**»

تقول ليلى إحدى الناشطات الإعلاميات في مدينة حمص المحاصرة: «**أسعدتني كثيراً المشاهد التي رأينا فيها سقوط تماثيل وصور آل الأسد وإزالتها من شوارعنا، فمدننا كانت ألبوم صورٍ ضخم للأسرة الحاكمة، تلك المشاهد كانت تُسقط من وعينا كأبناء ذلك العهد صورَ القائد وعائلته وهي تغلّف تفاصيل الحياة السورية على امتداد أربعين عاماً، مؤسسات، مدارس، مستشفيات، شوارع، أكشاك ودفاتر وكتب مدرسية، لا حس أنثوي في أي شيء، كانت نظرة القائد الرمز محاطاً بشبليه تختزل كل شيءٍ في السنوات السابقة، لم أملك قبل الثورة إلا أن أشتمه في سري، بالإضافة إلى عادةٍ أظن أن الكثيرين شاركوني إياها، فقد اعتدت أن أنتقم من بطشه بعبارةٍ كنت أتلذذ بتغيير تشكيلها وأنا أقرأها سراً مشددةً على حرف الواو الأول فيها وفتح الواو الأخرى.. هكذا تكوّن الأسوَدْ**»

من مظاهرات مدينة بنش – عدسة شاب بنشي

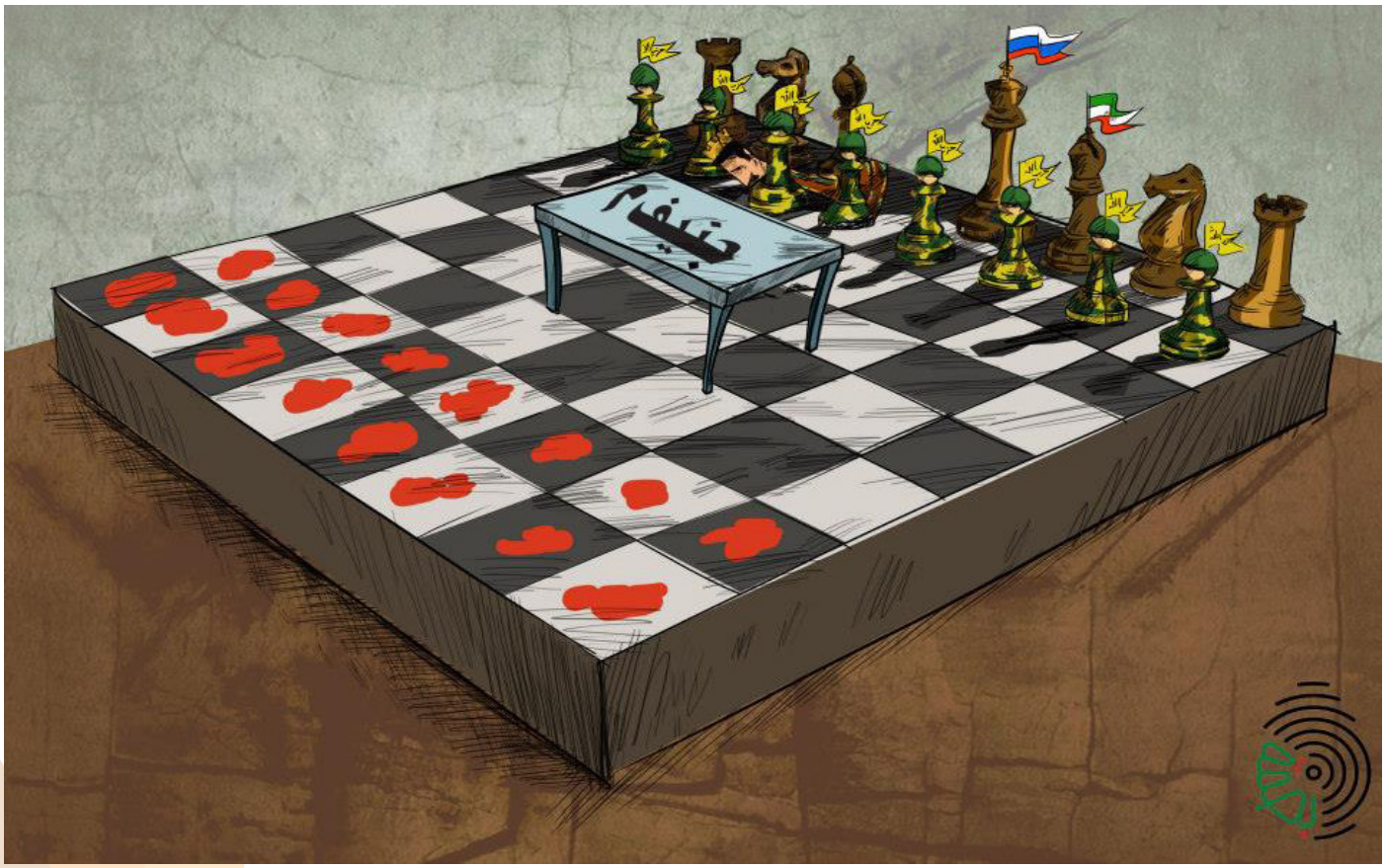

من الأرشيف البصري لبصمة سوريا

أسئلة بريئة من عينتاب

نوار خليفة

لاجئون سوريون في عينتاب – خاص حنطة

للموتى شؤونهم وللأحياء المعافين كذلك، أما الجريح المعلّق بين هذين البرزخين، فله أن يسأل كل أنواع الأسئلة، وأن يشعر بالسخط كذلك، خاصةً وإن كان يعبر الحدود السورية التركية بشكلٍ غير نظامي مهدداً بكافة أنواع المخاطر_ عدا الحيوانات المفترسة أو الديناصورات_ دون أن يخبره أحدٌ _فيما ينزف لأيامٍ ربما_ أنه حين يصل لن يجد تلك الرعاية التي جاء لأجلها، وربما يموت منتظراً أن تُنجز أوراق دخوله إن تم قبوله في أحد المستشفيات.

على باب غرفة العمليات في مشفى الشهيد كامل، في مدينة غازي عينتاب، وقف كريم أحد أبناء ريف حلب منتظراً أحد خبرين وربما كليهما، ولادة طفله الأول، وفقدان زوجته إحدى عينيها حيث تستقر شظية رصاصة رشاشٍ يخص إحدى طائرات النظام، الرصاصة اصطدمت بالجدار وارتدت إحدى شظاياها نحو عين الزوجة الحامل المقبلة على مخاضٍ طويل، أطول من مخاض الأمهات المعتاد. خلال هذا الانتظار يقول كريم أنه لا يستطيع التفكير كثيراً فيما ينتظره، هو فقط يفكر في الحوالة المالية التي قد تصل من السعودية، والتي وحدها ستمكنه من إخراج زوجته من المشفى باهظ التكاليف وطفله المنتظر وعينها المثقوبة وجواز سفره المحتجز في الاستقبال.

في مشفى آخر هناك جناحٌ كاملٌ للسوريين، وفي كل غرفةٍ يوجد ثلاثة مرضى. راشد إعلامي وناشط في الثورة وكان معتقلاً سابقاً في سجون النظام، أصيب فيما يحاول تغطية اشتباكٍ في الجامع الأموي بحلب برصاص قناص في ساقه، واليوم هو في إحدى المشافي الحكومية التركية، حيث تم قبوله بصعوبةٍ بفضل بعض المعارف والوساطات، وتتراكم فاتورة الحساب تصاعدياً وهو لا يبارح سريره جاهلاً مالذي ينتظره.

بين إعلاميٍّ ومحاربٍ ومدنيٍّ يدفع الجميع الأثمان بكافة أشكالها.

في نفس الجناح وجدنا مقاتلا شاباً انشق عن صفوف الأسد، أصيب في أحد الاشتباكات بدير الزور، ونقله صديقه إلى عينتاب، لم تستقبله عدة مشافٍ متعذرةً بسوء حالته، أو بعدم وجود بطاقةٍ صحيةٍ تركيةٍ للمريض، لم يبدأ بتلقّ العناية الصحية إلا بعد أن أصيب بنزيفٍ حاد وتم نقله إلى العناية المركزة، يقول صديقه: «نحن من نحارب على الجبهة، ونحن من نقاتل من يقف في وجه حريتنا، وعندما يصاب أحدٌ منا لا نجد في الخارج من يمد يد العون لنا.»

هنا في مشافي عينتاب التركية، وحيث فاق عدد اللاجئين السوريين الأربع مائة ألف نازح، تجد من السوريين كل أنواع جرحى الحرب، بين من بترت ساقه ومن وقع في الاشتباكات ومن أصيب في القصف، وتجد الكثير من الأطفال بعمر الأيام في المشافي، هؤلاء جميعاً لم يقطعوا تلك المسافة المضنية مع جراحهم إلا للنجاة، تاركين خلفهم مناطقهم العامرة بالقصف والدمار وانعدام الخدمات الطبية، والملاحقات الأمنية والاعتقالات التي تطال حتى الجريح الذي يلفظ آخر أنفاسه، يصلون عينتاب مع نزيفهم وما تبقى لهم من ساعاتٍ وربما دقائق، فما الذي يجدونه؟ ومن يتلقفهم؟

(أنا ما بزعل من الأتراك، إذا نحنا ما منرحم بعض، شو ما عمل الغريب عادي) تقول إحدى السيدات وهي تتأفف أثناء انتظارها في أحد أروقة المشفى، فيما تحمل طفلها ذو العامين الذي ما زال يحتضن في رأسه شظية هاون.

لابد أن تتشكل هنا بعض الأسئلة المفرطة في البراءة: أين الجهات المعنية بالحرجى السوريين النازحين أو الواصلين إلى هنا؟؟ مالذي قامت بفعله مكاتب الائتلاف لأجل هؤلاء؟ ما هي الجهة التي يمكن أن ترعى شؤونهم خاصةً وأنك تحتاج إلى بطاقةٍ صحيةٍ لدخول المشافي التركية، البطاقة يستغرق استخراجها يومان على الأقل؟؟ هل هناك حقاً جهةٌ ما تفكر أو تتحدث حول هذا الأمر؟ ألا يوجد هنا أطباء سوريون يتقنون سوريتهم والعناية بأبناء بلدهم من خلال منظمةٍ ما أو جمعيةٍ أو هيئة؟ هي فقط مجموعةٌ من الأسئلة الساذجة التي ستكثر بوماً بعد يوم تستطيع سماعها في أروقة مشافي عينتاب.

دراسة ميدانية حول الحصار

سمارة القوتلي – الغوطة الشرقية

استكمالاً لخطة النظام الممنهجة في إرضاخ أهالي الغوطة وتداعياتها عبر القصف والقتل والتدمير، اتجهت أنظار النظام مؤخراً إلى سياسة تشديد الحصار وتجويع الأهالي تحت شعار «التجويع حتى التركيع».

بين الجنة والنار

بدأ الحصار خطّه الأول مع بداية معركة العتيبة في الشّهر الرابع، فبعد أن نجح النظام في استرداد الطريق، أحكمت قوات الأمن أيضاً سيطرتها على مداخل الريف الدمشقي المحرر من خلال حاجزين رئيسيين، وهما حاجز المليحة، وحاجز مخيم الوافدين. وكان من المسموح حينها الدخول والخروج من الغوطة وإليها، وإدخال ما تيسر من المواد والأطعمة، وخلال الأشهر الثلاثة الأولى كان المشهد شبه طبيعي، لكن الأمر الذي زاد المشهد تعقيداً هو تحكّم تلك الحواجز بلقمة العيش، فأي تصعيدٍ في عمليات الجيش الحر كانت تنقلب نتائجه سلباً على سكان الغوطة الشرقية، هذا ما حدث تماماً في «٢٠١٣/٥/١٥ « حيث ازدادت قوات الأمن تمترساً، ومنعت جميع الوافدين من دمشق إلى ريفها إدخال الوقود والطحين وأي مادة تمت إلى ضرورات الحياة بصلة. السيدة « ز.ر» من سكان ريف دمشق، والتي رفضت أن تصرّح ل «حنطة» باسمها الحقيقي خوفاً من الاعتقال، الذي ربما كانت ستتعرض إليه أثناء خروجها من الريف المحرر. تقول «كنت أتعرض مع أطفالي لتفتيش كامل قبل الدخول إلى مناطق الغوطة المحررة، بحثاً عن موادٍ غذائية قد توجد معنا، وحتى حقائب أبنائي المدرسية كانت تتعرض للتفتيش مثلنا» وفي تلك الفترة ذاتها حسب ما تقول « ز.ر « أن عدد لا بأس فيه من الناس كانوا يدفعون المال لبعض عناصر الحاجز فيُسمح لهم بإدخال تلك المواد.

الحياة المدنية قبل إغلاق الحواجز

«اللي ما معو مصاري عم يبيع دهب، واللي ما عندو دهب صار يبيع عفش بيتو ليقدر يعيش بهالغلا، صارت الغوطة منطقة تجارية... يا محلا بيروت» هكذا لخّص الناشط «خالد» الوضع المعيشي لسكان بلدته أثناء بداية الحصار، وبحسب ما قال أنه وفي البدء كانت الأفران تخبز مرةً واحدةً أسبوعياً، لكن الأمر بدأ يختلف من أسبوعٍ لآخر، وبعد أسابيع عدة لم يعد ثمة من خبزٍ ولا حتى طحين: «حتى اضطرت والدتي لبيع عقدها الذهبي لتشتري بثمنه طحيناً، وكانت تقوم بخبز كميةٍ قليلة جداً من هذا الطحين مع كثيرٍ من المعكرونة والأرز كي توفّر منه» غير أن الطحين لم يكن المشكلة الوحيدة بالنسبة لخالد وعائلته، فهم مضطرون لتشغيل مولدة الكهرباء بمعدل ساعتين يومياً بغية تعبئة المياه والغسيل، يقول خالد: «نصرف شهرياً بمعدل ٥٠٠٠٠ ليرةٍ سورية، علماً أن عائلتي لا يتجاوز مدخولها ٢٠٠٠٠ ليرة، ونسدد المصاريف المتبقية عن طريق الديون أو البيع»

الحصار يكشّر عن أنيابه

هذا النمو الشيطاني السريع لهذا الحصار لم يكن عبثاً، فحسب مصادر عسكريةٍ في الجيش الحر؛ أن قوات النظام أحكمت إغلاق الحواجز ما قبل أيام العيد، وهنا كان الجيش الحر في صدد التعامل مع حملةٍ شرسة قد يقوم بها النظام، فقام الحر بضربةٍ مبكرة استباقاً لهجومٍ قد يشنّه النظام، وأشار المصدر أن الضربة تمثلت بقذائف الهاون على حاجز المخيم، بعد تأكد الحر من إغلاق الطريق وخلوّه من المدنيين، بيد أن الرد الطبيعي لقوات النظام حسب ما يقول مواطنون هو إغلاق الطريق بالكامل، ومنع الدخول كلياً منه وإليه، ومن خلال ذلك عبروا عن استيائهم من استهداف الحاجز من بعيد، فالحل الوحيد برأيهم هو معركةٌ طاحنةٌ تهدف إلى تحرير حاجز المخيم بشكل كامل، فيما قال مواطنون آخرون أن النظام يستعدّ لحملته الانتخابية، ويحاول من خلالها الضغط على سكان الغوطة الشرقية لمغادرة مدنهم حينما يأذن الأمن بفتح الطريق، مقابل وضع بصمتهم على أوراق بيضاء.

خوفاً من جوعٍ مباغت

ونحو آفاق أكبر يمتدّ الحصار، فلم يعد الأمر متعلقاً بغلاء الأسعار أو فقدان بعض المواد الغذائية، إن ما حدث هو اختفاء ٨٠ بالمئة من السلع والمواد الغذائية من البقاليات والأسواق بشكلٍ سريع لا سيما السكر والطحين، ويعود السبب في ذلك إلى تخوّف الأهالي من استمرار الحصار وقتاً أطول، فقام عددٌ كبيرٌ بشراء ما تبقى في الأسواق، إضافة إلى أن المحال ساهمت بإخفاء البضاعة خوفاً وحذراً من جوعٍ مباغت. «منال الأحمد» من مدينة سقبا، والتي ذهبت لشراء بعض المعلبات الصالحة للتخزين عادت إلى منزلها خائبةً، لدى سؤالها عن السبب أجابت: « لم أجد في المحال أطعمةً تصلح للتخزين، البقاليات معظمها قد فرغت، إنني أخشى على أطفالي من الجوع» وقد يكون باستطاعة «منال» تحمل شهرٍ إضافي آخر بما توفر من أطعمةٍ في منزلها، لكن إذا استمر الحصار أطول من ذلك ستكون حياة أطفالها في خطر.

الحياة مستمرةٌ، ومثل ما اختفى الغذاء فقد اختفى الوقود، ولعلّ الفارق بين أزمة الغذاء وأزمة الوقود هو ارتفاع سعر الوقود أضعافاً مضاعفةً عن ثمن الأغذية، وقد وصل سعر اللتر الواحد إلى «الفي ليرة سورية» هذا إن وجد. وقد كان لـ «حنطة» جولة في شوارع ريف دمشق، كانت الشوارع شبه هادئة، فمعظم السيارات قد أوقفها اختفاء مادة البنزين، فيما نشطت ظاهرة استخدام الدراجات بديلاً عنها، وهنا لا ننفي وجود سياراتٍ تتحرك بالمطلق، فنسبة حركة السيارات تقدَّر بـ ٢٠ ٪ من حركة الشارع العادية، وتلك النسبة في غالب الأحيان هي من الجيش الحر وبعض المدنيين الذين ادخروا وقوداً قبل انقطاع الطريق.

المرضى والجرحى في خطر

إلى جانب ذلك فليس نقص الدواء وحده يهدد حياة المرضى، فالوقود أيضاً في الغوطة الشرقية لا يقل عن أهميةً عن الدواء، ففي ظل انقطاع الكهرباء لا يمكن للأجهزة الطبية أن تعمل في غياب الوقود الذي تحتاجه المولدات. وذلك ما يؤكده «أبو عادل» المسؤول عن إحدى النقاط الطبية بقوله: «لا وقود يكفي لدي، فلو تقدم إلينا أي مريضٍ بحاجةٍ إلى عملية غسيل كلية، لن أستطيع تلبيته وإن كانت حياته في خطر» غير أن كل هذه المعلومات والظروف الاستثنائية التي اطلعنا من خلالها على الحياة في ريف دمشق، كانت غيضاً من فيض المعاناة الحقيقية على أرض الواقع، ويبقى السؤال متردداً في ذهن الجميع: هل سيقوم الجيش الحر بخطوةٍ جديةٍ لإنقاذ أكثر من مليوني ونصف نسمة في الغوطة الشرقية، أم أن هؤلاء سينتظرون مصيراً كمصير داريا ومعمضية الشام؟

سوريون على أبواب الغربة واللغة الغريبة

تقرير: ليلاف علو

خاص حنطة

أحضر ابنته من سوريا إلى إحدى المشافي التركية، وقف أمام الباب حاملاً ابنته، وهو الريفي الذي لا يجيد غير العربية، سأل أحد السوريين على باب المشفى: «ماذا يجب أن أفعل؟» أخبره الرجل أنه في حاجةٍ إلى مترجم، وأشار إلى أحدهم: «ذاك الرجل مترجم». ذهب نحوه وتحدث معه بالعربية، لم يرد المترجم وكأنه نسي اللغة العربية فجأة، عاد نحو صديقه النازح والفتاة الصغيرة التي تركها على الرصيف، سأله والدموع في عينيه «ماذا يجب أن أفعل؟» فأجاب بلا مبالاة : «أعطه نقوداً وسيساعدك».

بدأ الرجل يصرخ وعيناه تدمعان بكلماتٍ غير مفهومة، توجهتُ نحوه وسألته: «ما بك يا أخي؟» أفرغ جيوبه أمامي قائلاً بلهجة ريفية: «وضعي سيء، أحتاج مترجماً، وابنتي في حاجةٍ ماسة إلى العلاج، صارت الناس تنظر إلينا كأني أنا من يطلب المال أو يحاول سلبهم ما يملكون.» قلت له: «يا أخي خبئ نقودك، لدي نصف ساعة فقط أستطيع أن أساعدك خلالها»، ذهبت معه وكانت الساعة حوالي الثالثة والنصف عصراً، تكلمت مع السكرتيرة في مشفى الأطفال، كان هناك حوالي خمسون شخصاً يقفون أمامي، اعتذرت السكرتيرة عن تسجيل هذه الطفلة على قائمة اليوم بحجة أن الدوام انتهى، ولن يكون هناك وقتٌ كافٍ لمعاينة حالتها اليوم، الطفلة وضعها الصحي سيء، وهي في حاجةٍ ماسّةٍ إلى مترجمٍ يستطيع أن يتواصل مع الطبيب لشرح حالتها.

هذه القصة أخبرني بها السيد سيمون، وهو من المترجمين القلائل الذين يعملون مع المرضى السوريين في المستشفيات التركية. يقيم سيمون في تركيا منذ حوالي تسع سنوات، وهو سوري الأصل، يتابع شرح الأمر لنا: «منذ بداية الثورة السورية وأنا أتردد على المشافي التركية في أيام العطل وأوقات فراغي لعلي أستطيع المساعدة ولو بجزءٍ بسيطٍ، عبر إتقاني للغة التركية، يوجد أربع مشافٍ حكوميةٍ في غازي عنتاب حالياً، وعددٌ من المشافي الخاصة والتخصصية، عدد المترجمين فيها أقل من عشرة، وهو ينقص باستمرار، مشفى الأطفال بالذات لا يوجد فيه أيّ مترجمٍ على الإطلاق، وجود المترجم ضروريٌّ جداً لكثيرٍ من الحالات، مثلاً مصاب بقذيفةٍ يحمله الناس ويوصلونه للباب التركي «حالة إسعاف» فيما عائلته لا تعرف بالخبر. شخصٌ ما يسير في الشارع تصيبه طلقةٌ طائشة أسعفوه إلى الباب التركي، إلى أين؟ إلى أي مشفى؟ لا يعرف الأهل بذلك، كثيرٌ من الحالات يصل المصاب إلينا وحده، كل ما نعرفه عنه أنه شخصٌ سوريٌّ مصاب في غرفة العناية المشددة، تحتاج أسرته الموجودة داخل سوريا عدة أيام حتى تصل إليه، وأحياناً يخرج المصاب بدون أن يستطيع التواصل مع عائلته في الداخل، وهذا المصاب يحتاج إلى مصاريف (طعامه- عندما يتخرج يحتاج إلى ملابس-...)، يطلب الممرضون هذه الأشياء منا نحن المترجمين.»

يتابع سيمون شرح التفاصيل، إذ يبدو أن المسألة أكثر تعقيداً هنا: «في البداية لم تكن تشكل هذه المصاريف ضغطاً علينا،ونحن مجموعةٌ من السوريين نتطوع لمساعدة إخوتنا، لكن مع مرور الأيام لم نعد قادرين على إيفاء مصاريفنا الشخصية، فما بالك بمصاريف المرضى الذين هم أصلاً في حالةٍ صعبة، مصاريفنا نحن (تلفونات- مواصلات- صرف وصفات طبية) حتى في المشفى نأكل على حسابنا الشخصي، يحتاج المريض إلى بطاقةٍ صحيةٍ، يحتاج لاستخراجها يوماً أو أكثر، مصاريف المواصلات نضعها من حسابنا، هناك أدوية توصف وهي خارج قائمة الأدوية التي خفضت الحكومة التركية ٨٠٪ من سعرها ندفعها أيضاً من جيوبنا، أنا بصراحة صرت مؤخراً آخذ من الناس الميسورين فقط، لو لم أفعل هذا لم أكن لأستطع البقاء كل هذه المدة قائماً على عملي هذا، فأنا مفلسٌ ومعظم المرضى مفلسين، كيف سأستطيع المساعدة والاستمرار في هذه الإجراءات؟»

كما يقول المثل «الميت لا يحمل ميتاً»

هذا العمل ليس سهلاً كما شرح لنا سيمون، مثلاً المريض و الطبيب كلاهما في حاجةٍ لمن يسهّل عملية التواصل بينهما أثناء المعاينة، وهناك من لا يعرف إلى أين يذهب و أي الأقسام يقصد، هناك من يريد أن يتحدث مع السكرتيرة ليسجّل الدور ويعرف في أية ساعةٍ عليه أن يكون متواجداً، أين يسجل الآخر بطاقته الصحية؟ يوجد متطوعٌ فرّغ نفسه لهذا العمل، لكن ماذا يستطيع شخصٌ واحد أن يفعل؟ إذا وجد بداخل المشفى ٢٠٠ إلى ٣٠٠ شخصٍ سوري يومياً؟ فضلاً عن الوقت الذي يستهلكه المترجم مع كل مريض، منتظراً الدور ومتنقلاً معه بين الأقسام والعيادات، يحتاج بناءٌ بحجم مشفى الجامعة في عينتاب إلى عشرة مترجمين على الأقل، بناءً على المسافات الطويلة التي تفصل بين الأبنية والأقسام، وبناءً على عدد المرضى السوريين اللذين يراجعون المشفى كل يوم، فضلاً عن مسألة الجرحى الذين يصلون فجأةً فلا يجدون من يسهّل دخولهم، أو يحقق لهم الإجراءات التي تتناسب مع خطورة وضعهم.

أرقام مخيّبة للأمل

مشفى الجامعة في غازي عنتاب كبير جداً فيه فقط مترجمان اثنان أو ثلاثة على الأكثر، مع أنه يحتاج إلى خمسة عشر مترجماً على الأقل، لأنه يحتوي على عياداتٍ موزعةٍ بين أربع طوابق، وبين العيادات ممراتٌ طويلةٌ، وجناح المنامة في مبنى منفصل، لنقل أن المريض في جناح المنامة لا يحتاج إلى ترجمةٍ دائمة لكنه _الجناح_ يحتاج إلى مترجمٍ واحدٍ على الأقل، من أجل الوافدين الجدد والحالات الطارئة، أو اثناء زيارة الطبيب للمنامات عند زيارته الدورية صباحاً أو مساءً.

لا يوجد رواتب للمترجمين وهم أيضاً سوريون وأرباب عائلات وحالتهم المادية ليست أفضل من المرضى، لا يُجبر المريض على إعطائه شيئاً، لكن قد يقول جملة «اللي بيطلع من خاطرك» المترجم نفسه قد يعمل مع أية جهةٍ ويأخذ رواتب

ممتازة، مقارنة مع جملة «اللي بيطلع من خاطرك» يبتسم سيمون ويكمل: «المترجمين الذين يعملون في هذا المجال لا يريدون بناء ثروة من هذا العمل، يريدون الاستمرار في مساعدة الناس، ليس الوقت وقت بناء ثروات، هناك أشخاصٌ تركوا بيوتهم وأعمالهم وتطوعوا لهذا الغرض، لكنهم يتناقصون باستمرار، هذا إن لم نتحدث عن وجود أشخاصٍ يدّعون أنهم متطوعون للترجمة، لكنهم في الحقيقة موجودون لكي يسرقوا ويستغلوا أزمة اللغة الغريبة».

كيف يستطيع المترجم أن يستغل المرضى وذويهم؟

يقول سيمون: «مما لا يعرفه من يدّعون أنهم مترجمون أن كل غرفةٍ في المشفى مراقبةٌ بالكاميرات، أراني أحد الحراس في أحد المشافي فيديو لسرقة موبايلين لمرضى من قبل مترجميهم، ولأن المريض لا يشتكي أو يعرف أن من حقه أن يشتكي عرفت اللص ولم أستطع فعل شيء.» توجد أساليب أخرى كثيرة غير السرقة المباشرة، معظم المرضى لا يعرفون أن الدولة التركية تأخذ فقط ٢٠٪ من قيمة الدواء الأصلية حين يتوفر لدى المراجع بطاقةٌ صحية، يصرف المترجم الوصفة ويأخذ الثمن كاملاً بدون الخصم ٨٠٪، في حالاتٍ أخرى يريد المريض أن يشتري خط جوالٍ تركي، أو يعبئ رصيداً للاتصال، يضيف المترجم النسبة التي يريدها على أيّ عملٍ ينجزه للمريض، مستغلين بذلك جهل المريض القادم من سوريا، والذي لا يعرف الأسعار أو ماذا يوجد في تركيا؟

خاص حنطة

أخيراً يطرح سيمون بذرةً لحلّ هذه الأزمة التي تعترض عدداً كبيراً من السوريين: «نبحث عن جهةٍ من الداخل أو الخارج –لا فرق– تدعم هؤلاء الجنود المجهولين، فليعيّنوا أشخاصاً من الموجودين مسبقاً، هناك الكثير من المنظمات التي تعمل مع السوريين في غازي عينتاب، ألم تسعَ أية منظمةٍ منها إلى تخفيف هذه الآلام اليومية، هناك الكثير من الورشات التي تقام و يتم الصرف عليها بمبالغ طائلة لأجل عناوين ك (السلم الأهلي، فضّ النزاعات، العدالة الانتقالية، المجتمع المدني،....) والقائمة تطول، فيما تراق هناك دماءٌ وتطول آلام ولا أحد يهتم بتشكيل فريقٍ مصغّرٍ من المترجمين يمكنه أن يعين مئات المرضى و المصابين ممن يراجعون المشافي هنا، هل تعلمون أن عدد اللاجئين في مدينة عينتاب من السوريين قد فاق الأربع مائة ألف سوري؟ هل تعلمون عدد الجرحى اللذين يصلون كل يوم على حافة الموت؟ ربما تستطيع تلك المنظمات استشارة الأطباء والمرضى والجهات التي يهمها الأمرلتشكيل فريقٍ من المترجمين يمكن أن يتم توزيعه على المشافي هنا، باعتقادي وجودهم لمساعدة السوريين المرضى والمصابين أهم من كثيرٍ من وجود من يقبضون رواتب عالية، باسم مساعدة الشعب السوري.»

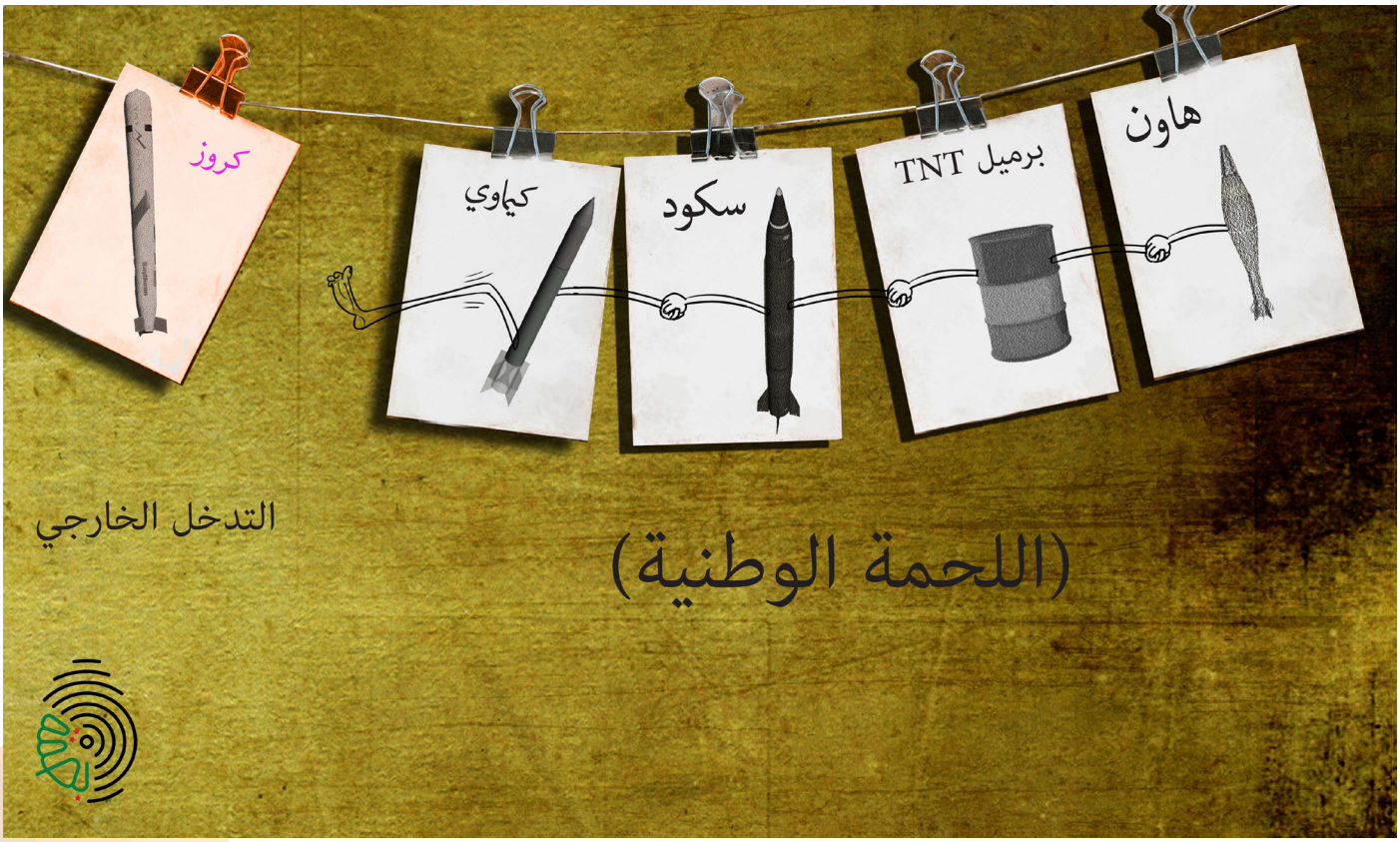

من الأرشيف البصري لبصمة سوريا

التعليم بين تحديات الحاضر وآمال المستقبل

عماد نجم حسو

ساحة مدرسة في مدينة حلب – سيف الدولة

حضّ الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام على العلم والتعلم من خلال الحديث الشريف حيث قال:(طلب العلم فريضةٌ على كل مسلم). أما المفكر والأديب الروسي ديستويفسكي فقد قال: (العلم نبتةٌ لا تنمو إلا في تربة الحرية) وهنالك الكثير الكثير من الأدباء والعلماء والمفكرين الذين أشاروا إلى أهمية العلم وقيمته.

وبنظرةٍ واحدة إلى الواقع التعليمي في سوريا لن يكون من الصعب الانتباه إلى أنه في أدنى مستوياته. قد عمل النظام السوري الفاسد على تشويه العقول، وذالك بهدف نشر الجهل والتخلف في المجتمع، فعمد منذ بداية الثورة السورية على تحويل المدارس إلى مراكز أمنيةٍ وثكناتٍ عسكرية، وجعل من بعضها سجناً لكل من عارضه، كما لم يتردد النظام أبداً في قصف المدارس الموجودة في المناطق المحررة وذلك وفق خطةٍ ممنهجةٍ تهدف لتدمير المدارس، وبالتالي تدمير العقول البشرية وقتلها.

نشرت منظمة هيومان رايتس واتش تقريراً يبين بأن ٢٢٪ من مدارس سوريا قد دُمِّرت، منها ٣٠٠-٤٠٠ مدرسة في حلب وإدلب، كما أشارت في تقريرها بأن ٢،٥ مليون طفلٍ مهددون بمستقبلٍ مجهول. لم تقتصر مشكلة المدارس على هذا فقط، إنما أصبح بعضها مقراتٍ للكتائب العسكرية، ومراكز لمجالس الأحياء في المناطق المحررة.

-إذن لا بد من خطواتٍ سريعةٍ ومدروسةٍ تعيد حركة التعليم لمدارسنا. هناك الكثير من الأمثلة والتجارب في دول العالم والتي يمكن أن نستفيد منها بشكلٍ واسع، فمن المعروف بأن ألمانيا واليابان دولتان تعرضتا لأسوء أنواع الحروب، إذ هُدِّم ٧٥٪ من ألمانيا، وضربت اليابان بقنبلتين نوويتين وذالك خلال الحرب العالمية الثانية، إلا أن كل ذلك لم يقف عائقاً أمام وصول هاتين الدولتين للمراتب الأولى في اقتصاديات الدول، حيث كان للتركيز على العلم وعلى المنهج التعليمي أثره الواضح في تطّور هاتين الدولتين وتقدمهما، ويظهر ذالك جلياً في قول وزير التربية والتعليم االياباني عندما سأله أحد الصحفيين العرب عن سر تقدم اليابان وتطورها فأجاب: «السر في نهضة اليابان بعد الحرب وإلقاء القنبلتين النوووييتين، هو في التعليم والنهوض بالواقع المنهجي الدراسي للطلبة، بالإضافة إلى نجاح المعلم الذي أعطي راتب الوزير وسلطة العسكري وهيبة القاضي.»

-لا ننكر بأن هناك محاولاتٍ حثيثة من بعض ناشطي الثورة والمعلمين، وحتى القادة العسكريين، وذلك لتفعيل عجلة التعليم من جديد مع بداية العام الدراسي الحالي، كما عمل البعض منهم على ذلك منذ العام الماضي، ومن ذالك مدرسة نابلس في حي طريق الباب الكائن في محافظة حلب، حيث افتتح عددٌ من المعلمين المدرسة وعلى رأسهم الأستاذ عبد اللطيف محمد الذي حدثنا عن المدرسة قائلاً: «لقد تم افتتاح مدرسة نابلس؛ وذالك لشعورنا بالخطر الذي يهدد أطفالنا وبالتالي بلدنا، ابتدءنا بعددٍ لا يتجاوز خمسين طالباً من الصف الأول وحتى الثالث الثانوي، ولكن بعد أيامٍ قليلةٍ من افتتاح المدرسة وصل العدد إلى ٤٣٠ طالباً، أما في السنة الجديدة التي باشرنا بها منذ أيام فقد وصل عدد الطلاب إلى ١٧٢٠ طالباً وما زال التسجيل جارياً للطلاب الجدد.»

وجب على كل واحدٍ منا أن يساهم بالقدر الذي يستطيع، بغية تنشيط العملية التعليمية ونهوضها، وذالك من خلال إفراغ المدارس من الكتائب العسكرية والمجالس المدنية، وإعادة ترميم المهدّم منها، بالإضافة إلى قيام المعلمين بواجبهم الأخلاقي والمهني من خلال عودتهم للعمل التعليمي، وأخيراً قيام كل الجهات من مجلس محافظة الى منظماتٍ وهيئاتٍ إغاثية وتجمعاتٍ ثورية، بدعم قطاع التعليم على كافة المستويات (ماديا، لوجستيا...إلخ) وذالك لبناء سوريا الثقافة والعلم، سوريا الحضارة، سوريا الثورة.

مدرسة في مدينة مسكنة – حلب

رشا عمران.. على بيدر حنطة

حوار: ياسمين مرعي

في الذكورة سلطةٌ ما، وتقمُّص هذه الذكورة لدى بعض النساء هو رغبةٌ بالسلطة والتحكم.

لن تقبل المرأة السورية الثائرة التنازل عن حقوقها بعد الثورة، كلّي أمل بهذا.

أشعر أن هناك مساعياً لزيادة حالة إقصاء المرأة عن العمل السياسي.

١- هناك مساعٍ حثيثة اليوم لإحداث نقلةٍ في طبيعة مشاركة النساء السوريات في الحياة السياسية، كيف تقيّم رشا عمران هذه المساعي وهل تراها على القدر المطلوب؟

لا أوافق على أن هناك مساعياً لإحداث نقلة من هذا النوع. على العكس تماماً، أشعر أن هناك مساعياً لزيادة حالة إقصاء المرأة عن العمل السياسي، خذي مثلاً انتخابات المجالس المحلية في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام سترين أن وجود المرأة فيها معدومٌ تماماً، خذي فصائل المعارضة وهيئاتها وابحثي عن المرأة في مواقع القرار فيها، ستجدين أيضاً أنها معدومة، وهذا يمكنه تعميمه على كل أطياف المعارضة بإسلامييها ولبيراليها ويساريها.. تحاول المرأة السورية عبر تنظيماتٍ مدنيةٍ خاصة بالنساء المشاركة في الحياة السياسية، ولكنها أيضا تفشل في هذا لأسبابٍ كثيرةٍ تحتاج إلى تشريحٍ وتحليلٍ في الحقيقة.

٢- كيف تصفين الحراك النسائي خلال الثورة، سواءٌ على مستوى النُخب أو على المستوى الشعبي؟

الحراك النسائي الثوري في داخل سوريا وقبل مرحلة التسليح كان مبشّراً بمستقبلٍ مشرقٍ للمرأة، شاركت المرأة السورية بكل فئاتها في العمل اللوجستي الثوري، في المظاهرات والعمل الإغاثي، في التحريض، في الفنون الثورية (تشكيل وتصوير وأفلام وثائقية والموسيقى والغناء)، في الكتابات الصحفية والمقالات، وفي العمل الطبي والحقوقي، كانت مشاركتها واضحةً وتركت بصماتٍ مهمّة، وكان يمكن لهذه المشاركة أن تشكّل فارقاً حقيقياً في وضع المرأة السورية في المجتمع السوري عموماً، وتنقلها خطواتٍ واسعةً إلى الأمام في الحصول على حقوقها الطبيعية البسيطة، على أن مجريات الثورة وتسليحها ومحاولات تطييفها وإظهارها بصورة الثورة الإسلامية لا الشعبية، والمال السياسي الذي ضُخ لأجل هذه الغاية، والعنف الغير المسبوق الذي مارسه النظام السوري على النساء المعتقلات أو المنتميات للمناطق الثائرة، أحدث حالةً من النكوص والتراجع في علاقة المرأة مع مستقبلها، وهذه خسارةٌ كبيرةٌ لسوريا، وإن كنت أعتقد أنها مرحلةٌ آنيّة، حتى لو كانت طويلة، لكنها ليست دائمة. لن تقبل المرأة السورية الثائرة التنازل عن حقوقها بعد الثورة، كلّي أمل بهذا.

٣- إذا أردنا أن نجلي حقيقة واقع النساء السوريات خارج نطاق المعاناة والترمل والتهجير، أقصد الجانب المشرق من حياة السوريات خلال الثورة، ماذا نقول؟

ربما في الجواب السابق إجابةٌ عن هذا السؤال؛ المرأة السورية محكومةٌ بفرضها لذاتها لكيانها، مهما وقع عليها من العنف والظلم هي قادرةٌ على اتخاذ قراراتها بنفسها، لنلاحظ ما تفعله النساء السوريات المهجّرات، هنّ يرفضن تلقّي المساعدات إلا بالنذر اليسير، ويحاولن خلق فرص عملٍ لأنفسهن (الطبخ والتطريز والمنتجات اليدوية.. إلخ)، هذا يعني بشكلٍ ما أنها ذات كينونةٍ نفسيةٍ مستقلةٍ ومعتزةٍ باستقلاليتها، وهذا لا يمكن لها التفريط به.

٤- هل فرضت النساء السوريات المنخرطات في العمل الثوري أنفسهن من خلال شبكة المرأة السورية؟ وكيف نقارن بين عملهن وعمل النساء اللواتي ما زلن ضمن هيكلية النظام في سوريا؟

لا أعتقد أن النساء السوريات استطعن فرض أنفسهن كجسمٍ مجتمعيٍّ واحد. الشبكة حاولت تجميع جهودهن فقط، لكنها لم تصل بعد إلى مستوى أن تكون جهةً تمثيليةً واسعةً للمرأة السورية، وهذا أيضاً متعلقٌ بعدم قدرة السوريين على العمل الجماعي بسبب منعه عنهم طيلة خمسين عاماً. نحن ما زلنا نتعلم كيف نكون مواطنين، وكيف نفكر كمواطنين، وكيف نعكس مواطنيّتنا هذه على الوطن، والمرأة السورية جزءٌ من هذا السياق، بالتالي أيّ عملٍ لها محكومٌ مسبقاً بهذه الآلية، وهذا ينطبق أيضاً على النساء اللواتي مازلن في هيكيلة النظام، هذا سياقٌ مجتمعيٌّ سوريٌّ عام لا يمكن أن ينتهي بين ليلةٍ وضحاها، ولا يصيب فئةً ويحيد عن الأخرى، هو جزءٌ من حركة التغيير الشاملة في المجتمع، والتي بدأت قبل عامين ونصف، ستمر هذه العملية بحالات نكوصٍ عديدة ولكنها ستعاود انطلاقها، نحتاج وقتاً طويلاً لكل هذا، نساءً ورجالاً.

٥- كمثقفة، برأيك ما الذي لم يتم تقديمه للنساء حتى يستكملن مقومات الفاعلية؟

إن كان التحديد في هذا السؤال يخص مرحلة الثورة، فأعتقد أن محاولات الإقصاء من قِبل النُخب السياسية الذكورية للمرأة كان العائق الأكبر المؤدي إلى نقصان فاعليتها، وهذا جزءٌ من أمراض المجتمعات العربية والإسلامية عموماً. النظرة إلى المرأة بصفتها أدنى من الرجل -حتى لو كان الرجل مثقفاً- ثمة في اللاوعي الجمعي الذكوري ما يعزز لديه هذه النظرة، وهذا للأسف حدث مع نساء الثورة السورية. شيءٌ آخر مهم برأيي؛ هو أن بعض النساء يتقمصن الثقافة الذكورية ذاتها في التعامل مع غيرهن من النساء، فيحاولن إقصاء من يعتقدن أنهن غريماتٌ لهن في السياسية والحياة العامة. في الذكورة سلطةٌ ما، وتقمُّص هذه الذكورة لدى بعض النساء هو رغبةٌ بالسلطة والتحكم.

٦- كيف ترى رشا عمران مستقبل النساء السوريات؟ وحجم الدور الذي سيلعبنه؟

أعتقد أن المستقبل القريب لن يكون مبشراً بالخير فيما يخص المرأة السورية، ففي ظلّ السلاح والعنف والموت والسلطة، يصبح صوت المرأة المتوازن والمنحاز للحياة والسلام صوتاً ضعيفاً وواهياً، وما يحدث في سوريا حالياً من سيطرةٍ للكتائب المتطرفة، وانتشار التطرف ومحاولات تعميمه على الأرض السورية عموماً، المرأة هي أول المستهدفين منه، مع كل ما تعانيه المرأة السورية حالياً من تهجيرٍ وفقدٍ وترمُّلٍ وتيتمٍ وفقر، وكل هذه الكوارث،يبدو أن لا أمل قريب بأن يكون للمرأة دورٌ فاعلٌ في المستقبل السوري القريب، ربما سيكون هناك نساءٌ منفرداتٌ يلعبن دوراً ما، ولكن أنا أحلم بحركةٍ نسويةٍ شاملة قادرة على تغيير القوانين المتعسفة بحق المرأة، وقادرةٍ على فرض صوت النساء بقوة سياسياً واجتماعياً، وقادرةٍ على خرق كل التابوات الاجتماعية المفروضة عليها، ربما كما قلت سابقا سيحدث هذا يوماً ما، ولكنه يومٌ بعيدٌ وإن كنا لا نملك قدرة الفعل حالياً كنساء، فإننا على الأقل نملك قدرة الأمل واستعادة إرادة التغيير ولو بعد حين.

دراسة مبسطة حول اضطرابات ما بعد الصدمة ٣

جنان علي

عدسة زياد حمصي

«اضطراب ما بعد الصدمة» مصطلح تعرض له الكثيرون في خضم الحروب وخاصة في الأزمة السورية، ولكن هل هذا المصطلح يعبر عن حيثيات الصراع الداخلي والانشطار النفسي الذي لحق بشعبنا وبالأطفال منهم على وجه الخصوص؟ لهذا المصطلح الكثير من الأوجه، فهو قابلٌ للتلون بأعراضٍ مرافقةٍ له تبعاً للحدث ومدى صلابته، وفي واقعنا السوري اليوم مشاهد تعجز أمامها الأعين، فكيف تتصدى لها نفوس أطفالنا؟ وما هي إسقاطات الأزمة السورية على غدنا/ الطفل من حيث تشكّلها المستديم لديه.

سنتطرق في بحثنا عن آلية سير الاضطراب في التفكير الداخلي، وفي مفهوم الشخص للحياة، والفرضيات الداخلية له. أولاً: تأثير الحدث الصدميّ على الفرضيات الأساسية في الحياة:

يرتكز وجودنا في الحياة، وتوظيف طاقاتنا وفاعليتنا فيها، وانتظام علاقاتنا بالبيئة والمجتمع والآخرين والذات، على أساس من الفرضيات والنظريات الشخصية التي Assumptions تسمح لنا بأن نضع أهدافاً نتبناها، ونخطط لأنشطةٍ نضطلع بها، وننظم سلوكنا.

وتتعدد الفرضيات الأساسية التي تكون عرضةً للانتهاك والتشويه ولكنه يبرز من بينها ثلاثة أنماط قد تشيع لدى معظم الناس، وتتمثل هذه الفرضيات الأساسية التي قد تتعرض للعصف والانتهاك من جراء الصدمة فيما يلي:

– فرضية المناعة أو الحصانة: Invulnetability

قد يبدو أننا جميعاً نقر بالحوادث والكوارث والصدمات، فالجرائم شائعة وأمراض السرطان والقلب تصيب نسبةً كبيرةً من الناس، وحوادث السيارات تتزايد، ومع ذلك فإننا في الوقت نفسه نعتقد بأن «ذلك لن يحصل لي» فنحن في وجودنا، ننشط ونسلك ونعمل على أساس الخداع أو وهم المناعة والحصانة، فالناس يميلون إلى المبالغة في تقدير احتمال أن يخبروا مواقف موجبة في الحياة وإلى الإقلال من تقدير احتمال أن يخبروا أحداثاً سالبة.

ولكن من شأن التعرض لصدمة أو خبرة وقوع الفرد ضحية لعنف أو جريمة أو حادث أن يبدد فرضية الحصانة أو المناعة، وينتهكها ويعصف بها، وبالتالي لا يعود الفرد قادراً على القول بأن «ذلك لن يحدث لي» لذا تتحول هذه الفرضية إلى إحساس بالقابلية للانجراح أو السقوط الذي يعم إدراكات الضحايا، فيشعرون أنهم لم يعودوا حصينين أو منيعين، وبأنهم عاجزون أمام قوى عارمة لايملكون حيالها منعة، وبالتالي يدركون أن أي شيء يمكن الآن أن يقع لهم.

«تتغير نظرة الأشخاص الضحايا إلى البيئة والعالم، فلا يعودوا يدركون أنفسهم على أنهم سالمون وآمنون فيي بيئة آمنة غير خطرة، بل يخبرون عالمهم على أنه عالم ممتلئ بالأحقاد والشرور، ولايعودون قادرين على الشعور بالأمن في عالمٍ عدواني، وماسيتبع ذلك من فقدان الثقة في الآخرين، وبخاصة إذا كانت الصدمة من فعل إنسان ومن ظلم الإنسان للإنسان»*

–فرضية أن العالم ذو معنى: Meaningful World

ترتكز فرضية المناعة أو الحصانة، في جانب منها، على معتقدٍ أساسي بأن الأحداث في عالمنا منظّمة ويمكن فهمها: أي أننا نعيش في عالمٍ منظمٍ تحكمه معايير ومبادئ منظمة ومستقرة إلى حدٍ كبير، وأنه لكي نستخلص معنى لعالمنا، فإننا نعتبر ما يحدث لنا يمكننا التحكم فيه، فقد نعتقد أننا نستطيع أن نحول دون سوء الطالع عن طريق التزامنا بأنماط من السلوك الحذر، وبأن نكون أشخاص طيبين وجديرين بالتقدير.

ويتعاظم ذلك، كما يقول «ليرنر» كما لو أنه «نظرية عن عالم عادل، بها نعتقد أن الناس يعلمون ويسلكون على أساس فرضيات العالم العادل»

ولكن العالم لا يبدو هكذا «ذو معنى» بالنسبة للأشخاص الضحايا الذين يشعرون أنهم كانوا أشخاصاً حريصين وطيبين، فالوقوع ضحيّة لا يحمل معنى، ولا يتلاءم مع «القوانين الاجتماعية»، لذا فإن عدم القدرة على استخلاص معنى العالم يشيع بشكل حاد لدى الأشخاص الباقين على قيد الحياة بعد الحرب ومعسكرات الاعتقال والأسر والجريمة.

-فرضية الإدراك الإيجابي للذات: Positive self-perception

يلاحظ بصفة عامة أن الناس يتصرفون ويسلكون ويعملون استناداً إلى فرضية بأنهم أشخاص جديرون وطيبون؛ أي أنهم يتصفون بمستوى عال نسبياً لتقدير الذات، ولكن خبرة وقوعهم ضحايا تثير تساؤلاتٍ وشكوكاً حول هذه الإدراكات الذاتية.

فصدمة الوقوع ضحية تستدعي صوراً سالبة عن الذات لدى الضحيّة، فالضحايا يرون أنفسهم أنهم ضعفاء وعاجزون وخائفون في مواجهة قوى تتجاوز قدراتهم على التحكم فيها، وهذا الإحساس بالعجز يعمل على تشويه صورة الذات لديهم، وبالتالي يؤول إلى فقدان تقدير الذات.

وهكذا فإن نظرة الضحايا إلى العالم وإلى أنفسهم نتيجة للصدمة، «تتعرض لتحدياتٍ بالغة الشدة؛ ذلك أن ما كانوا ينتظمون على أساسه في السابق من فرضياتٍ كانت تمكنهم من أن يحققوا وظائفهم بفعالية، فإن هذه الفرضيات لم تعد تعمل كموجاتٍ لسلوكهم ولحسن توجههم في الحياة»**

ثانياً: تأثير الحدث الصدمي على المعتقدات الأساسيّة لدى الشخص:

من خلال تعامل الشخص مع أسرته ومع عالمه تتكون لديه صورة عن نفسه وعن الحياة (تسمى افتراضات أساسيات) تتلخص في:

١- أنّه شخصٌ محبوب من المحيطين به.

٢- أنهم يقومون بحمايته ورعايته ولا يعرضونه للخطر، وهم قادرون على ذلك.

٣- أن هناك منطقاً يحكم العالم، وهو أن الخير دائماً ينتصر، لأن الله يحب الأخيار ويحميهم ويساعدهم.

عدسة زياد حمصي

وعند تعرض هذا الشخص للحدث الصادم فإن هذه الافتراضات أو القناعات الأساسية تتزلزل وتتهدم في لحظة الاعتداء على الشخص أو ذويه، حيث يرى كل شيءٍ يتغير أمام عينيه، فتهتز كل ثوابته ويتعرض للتناثر والتشتت، وتتعرض صورته عن نفسه وعن العالم للتشوه، وبما أن تكوينه المعرفي والوجداني لم ينضج بعد؛ لذلك تكون الآثار عميقة ومؤثرة بشكل كبير.

وقد يقول قائل: «إن الطفل لديه قدرة كبيرة على التأقلم مع الأحداث، وذلك بسبب عدم وجود تصوراتٍ جاهزة كثيرة عن العالم لديه وبالتالي فهو أكثر تقبلاً للتصورات والأنماط الواقعة فعلاً دون مقارنتها بنمط قياس».***

وهذا القول صحيح من ناحية، ولكنه من ناحية أخرى يعني أن التأقلم حين يحدث في هذه الظروف فإنه يؤدي إلى تثبيت أفكار واتجاهات العدوان والانتقام وعدم الثقة في أي شيء.

وبما أن الوضع في الأراضي السورية متفرّد، حيث الخبرات الصادمة متكررة ومتصاعدة، وحيث المجتمع كله واقعٌ تحت التهديد والخطر، وحيث انعدام مصادر الدعم والمساندة، فإننا نتوقع اختلاف حالة الأشخاص الذين يعانون من مثل هذا الاضطراب واختلاف المسار والمآل لاضطراب كرب ما بعد الصدمة لدى السوريين، فنحن هنا لا نصل إلى حالة «ما بعد الصدمة»، لأن الصدمات متتالية ومستمرة بل ومتصاعدة، إننا نصل هنا لحالةٍ من الاضطراب المتعدد والمختلف بين الأفراد تبعاً للأزمات المختلفة التي تعرضت لها كل منطقةٍ من المناطق السورية، وحتى تبعاً لكل أسرةٍ وفرد، فما يحدث الآن في سوريا يعتبر سابقة، ويترتب على ذلك انبثاق موجةٍ من الاضطرابات المتلازمة التي تحمل في طياتها العديد من الأعراض التشخيصية التي تعمل على تمويه وإخفاء الأعراض الحقيقية الكامنة خلفها، وهنا علينا نحن كمرشدين وكمتطوعين في هذا المجال الانتباه والحذر من الوقوع في أخطاء التشخيص، كمثالٍ لذلك بعض الأعراض التحوليّة (مثل: الشلل الهستيري أو البكم الهستيري أو غيرها) والانشقاقية (مثل: فقد الذاكرة الهستيري وازدواج الشخصية)، والتبول الليلي اللا إرادي، واضرابات التأقلم وتأخر النضج النفسي جنباً إلى جنب مع أعراض اضطرابات كرب ما بعد الصدمة.

إذن نحن أمام صورة غير نمطيّة لهذا الاضراب (Atypical form of PTSD) نتجت عن طبيعة الخبرات الصادمة وغياب الأمن وغياب مصادر الدعم والمساندة بشكلٍ مزمنٍ ومتصاعد.

عدسة معن الخضر

*(زهران، ١٩٩٧ ص ٨٦)

**(اسعد، ١٩٩٤ ص ١٨٦)

***(المهدي، ٢٠٠٤)

لافتات الثورة السورية من رسائل تعارف وتضامن بين المدن إلى المتاحف العالمية

أسامة أحمد

يبدو من المناسب جداً الآن، الحديث عن التطلعات التي نادى بها الشعب السوري طوال ثلاثة أعوامٍ تقريباً، التطلعات الحقيقية المتمثلة في إقامة دولةٍ ديمقراطيةٍ تعدديةٍ عادلة، التطلعات التي كتبها نشطاء الثورة على لافتاتٍ من الورق المقوى ورفعوها في مظاهراتهم المناهضة لنظام الأسد، حيث يستعد ممثلو عددٍ من الدول للذهاب إلى مؤتمر جنيف ٢ من أجل تقاسم كعكة النزاع السوري، مع غياب مندوبي الشعب السوري الثائر عن فعاليات المؤتمر المزمع انعقاده.

تكتسب هذه اللافتات أهميةً كبرى، توازي المطالب المكتوبة عليها، بسبب رخص ثمنها، ويُعتبر حامل اللافتة المالك الحصري لها، فيما يشوب أي وسيلة أخرى للتعبير عن المطالب الشعبية الكثيرَ من التدخل في جوهر المطالب من قبل مالك الوسيلة. للقنوات الفضائية ومالكيها مطالب خاصةٌ قد لا تتفق دائماً مع مطالب المتظاهرين، كما أن لشبكة الإنترنت صعوباتها الكثيرة، من انقطاعٍ للشبكة المحلية، ومراقبةٍ صارمةٍ من المخابرات السورية، إلى التكلفة العالية لشبكة الإنترنت الفضائية. انطلاقاً من هذه الحقائق؛ اهتم المتظاهرون بهذه اللافتات وطوّروها مع تطوّر ثورتهم، قبل أن يبدأوا بأرشفتها وحفظها كوثائق، فقد يحتاجها المؤرخون عند الحديث عن مطالب الشعب السوري الحقيقية في ثورته ضد حكم نظام بشار الأسد الشمولي، فيما لايبدو أن ضيوف مؤتمر جنيف ٢ في حاجةٍ لأيٍّ منها.

تحمل كل لافتةٍ مطلباً محدداً، وتاريخاً واسم الجهة التي تتبناها، إضافةً للمدينة التي رُفعت فيها، وهو أمرٌ ساهم بشرح الجغرافيا السورية بشكل دقيق، ولأن غالبية المدن والبلدات والقرى انتفضت ضد نظام الأسد، فقد عرف السوريون أسماء قراهم وبلداتهم ومواقعها لأولِ مرة عبر اللافتات، وسيجيبك سوريٌّ من قرية في درعا في أقصى جنوب البلاد بأن عامودا بلدةٌ ثائرةٌ في محافظة الحسكة في أقصى الشمال الشرقي لسورية.

في الأشهر الأولى للثورة السورية عمدت قناة الدنيا الموالية للنظام إلى محاربة هذه اللافتات، إيمانا منها بخطورتها، وبخطورة المطالب التي تحملها، كونها مطالب شعبيةٌ تعرف مصلحة كاتبيها الحقيقية، وردَّ الناشطون بطرقهم على قناة الدنيا لإثبات تاريخ اللافتات المتجددة في كل أسبوع. وفي بداية الثورة السورية كانت السمة الغالبة للافتات هي المطالب التي يتطلع إليها الشعب السوري ككل في ثورته، وحملت جملاً من قبيل «الشعب يريد إسقاط النظام» و «حرية للأبد» و«الموت ولا المذلة».

من لافتات مدينة كفرنبل

ومع بدء الحملة الأمنية والعسكرية على محافظة درعا في بداية الثورة، وفرض حصارٍ خانق عليها، استخدم المتظاهرون اللافتات كرسائل بريدٍ تعبّر عن التضامن والدعم مع ثوار درعا، قبل أن تصبح هذه الرسائل سمةً غالبةً لكل مجزرةٍ يرتكبها النظام في البلدات والمدن السورية. ومع الرد العنيف لقوات الأمن على مطالب المتظاهرين، وارتكابه لمذابح بحق المتظاهرين العزّل والمناطق المناهضة لحكم النظام، تحولت اللافتات في غالبيتها إلى رسائل تضامن، وكتب الناشطون، «يا درعا حنا معاكي للموت» و«حمص لن تركع» و«مجزرة الحولة في عنق مجلس الأمن» و«لأهلنا في حمص قلوبنا مفتوحة لكم قبل بيوتنا». ومع وصول عدد المعتقلين لأعدادٍ كبيرة غصت بهم السجون والملاعب والمدارس، تحولت اللافتات إلى المطالبة بإطلاق سراحهم، وأصبحت قضية المعتقلين سمةً بارزةً لكل اللافتات، وتتمحور غالبيتها حول جملة «الحرية للمعتقلين».

وفي انعطافٍ كبير لتاريخ لافتات الثورة السورية، بدأ النشطاء في التدخل بين خلافات المعارضة السياسية الداخلية والخارجية، وحملت الكثير من اللافتات حلولاً يقترحها النشطاء لقضيةٍ جدليةٍ بين أطراف المعارضة، وفي هذا السياق رفع نشطاء الثورة في مدينة كفر نبل بمحافظة إدلب لافتةً كتب عليها «الجمهورية السورية» في إشارةٍ إلى خلافٍ سياسيٍّ بين أطراف المعارضة حول تسمية الدولة السورية المستقبلية. ومع لعب النظام على الوتر الطائفي والقومي لتفريق السوريين، ظهرت الكثير من اللافتات التي تدعو إلى الوحدة وتكشف ألاعيب النظام، من قبيل «أنا كردي من عامودا وبعشق حمص» و«أخوتنا الكورد حريتكم حريتنا وشهداؤكم شهدائنا» و«الألم واحد والدم واحد والنبض واحد». اللافتات في ثورة الشعب السوري علامةٌ بارزةٌ متميزة عن باقي النشاطات التي قام بها النشطاء، فقد اشتهرت بعض اللافتات الخاصة بمدنٍ معينة من خلال الأفكار التي طرحتها، والتي تحاكي وجدان جميع السوريين، ووصلت هذه اللافتات إلى كل أنحاء العالم عبر وسائل الإعلام المختلفة، التي ركزت عليها لتميّزها كحدثٍ مهمٍّ ومستقل يستحق النشر على أوسع نطاق. واحتلت مدينتا «كفر نبل» في إدلب و«عامودا» في الحسكة، مرتبة الصدارة كونها صدّرت أشهر اللافتات التي حفظها السوريين في كل مكان، والتي أجبرت وسائل الإعلام على نشرها، وانتشرت هذه اللافتات بشكلٍ واسع النطاق على مواقع التواصل الاجتماعي، كمشاركاتٍ وصورة جدار، لما تحمله من مضمونٍ يرقى لمستوى الشعار، وربما الحكمة عند كثير من السوريين. كتب ثوار كفر نبل «ناس بتحمل علم بنجمتين، وناس بتحمل علم بثلاث نجوم، لو اتحدوا كان صارت سورية خمس نجوم» و«أنا درزي وعلوي، سني وكردي، مسعولي ومسيحي، يهودي وأشوري، أنا الثائر السوري وأفخر». ورد ثوار عامودا بلافتاتهم في منافسةٍ ثورية مختلفة، «كفر نبل الأبية، لافتاتكم أضفت على الثورة السورية رونقاً خاصاً».

ومع انحسار حركة التظاهر المناهضة لنظام الأسد، بعد أن تحولت الثورة السورية إلى حربٍ طاحنةٍ يشترك فيها مقاتلون من كل دول العالم، ظهرت ضرورة الحفاظ على هذه اللافتات التي تؤرّخ مرحلةً مهمةً من تاريخ سورية بأدق تفاصيلها، وهي بمثابة تاريخ كتبه الشعب، بما يحمله ذلك من صدقيّة. ومع حضور السوريين لمؤتمر جنيف ٢ كممثلين عن روسيا وإيران وأميركا وتركيا والسعودية وفرنسا، وغيرها الكثير من الدول اللاعبة في سورية، أرسل الشعب السوري ممثله إلى مكانٍ مغاير، حيث عرضت هذه اللافتات مؤخراً في أحد متاحف فرنسا البارزة، ولاقت إقبالاً منقطع النظير من جمهورٍ جاء ليعرف الحقيقة الكاملة، بعيداً عن جنيف وأرقامها.

نون النسوة السورية

أحمد عيساوي

إلى حميدة النطراوي الفياض، ابنة مدينة تلبيسة –أول شهيدات الثورة السورية– التي صُفيّت هي وابنها وهي عائدةٌ من العمل في مزارع البيوت البلاستيكية بمدينة بانياس.

إلى عبير الحمادي (أم خالد)، المعلمة والأم لثلاثة أطفال، التي رأت الدبابات تجتاح حمص، فخرجت إلى شارع تل أبيض في مركز الرقة التجاري وهتفت للمدن المحاصرة، فأحاط بها رجال الأمن وضربوها واعتقلوها لأشهر عديدة.

إلى زينب الحصني، شهيدة في الميدان وفي إعلام الطاغية.

إلى هاجر الخطيب، حيث ولدت تاء التأنيث ولم تكمل ضحكتها.

إلى معتقلاتٍ سوريات وفلسطينيات ينتظرن فجر الحرية.

إلى سعاد نوفل، التي تعلمنا يوميا دروسا في حب الحياة ورفض كل شكلٍ للإستبداد،

إلى سمر، ورزان ولينا، وهالا وكفاح ولبنى.. ناشطات كاتبات، مسعفات، طبيبات، معلمات، فلاحات..

إلى من لا نعرف أسماءهن، إلا بعد مقالةٍ، أو مظاهرةٍ، أو اعتقالٍ أو شهادة.

إليهنّ أهدي هذا النص:

تستحيل سردية الثورة السورية دون المرأة، ولا يستقيم حدثٌ هنا أو هناك دون مشاركتها بشكلٍ فعّالٍ في رسم ملامحه، حتى أصبح الإطار النسويّ حاجةً عضويةً لثورةٍ تأكل نفسها بأخطاء أبنائها.

شكّلت الثورة السورية في فرادتها حقلاً دلالياً، لا وجود فيه لجمعٍ واحدٍ موحّد، ولا قدرة للرائي على حصر أطرٍ معينة (جغرافياً– طائفياً– طبقياً..) في أرض الثورة. وقد أتاح هذا التنوع في حضور الذات السورية المقهورة في زمن الثورة للمرأة أن تخوض تجربتها لتحدّد مسارها الحاضر، وتجابه سنواتٍ من القمع أثقلت كاهلها، ذلك لأن المرأة أثبتت خلال الثورات الأخيرة على الأقل أنها ليست طرفاً اجتماعياً ضعيفاً، يحتاج إلى حماية الرجل، كما ليست كائناً معيباً، دائم الحاجة إلى ستر خطاياه وتلقف فضائحه. باشرت النساء السوريات في البحث عن وسائل غير كلاسيكية للتخلص من وطأة العادات وقيودها، وكان المنحى الأكثر بروزاً في وسط الطبقة المثقفة من شاعرات، وفنانات ورائدات في مجالاتٍ إبداعيةٍ شتى.

تحوّلت معركة المرأة السورية من مطالبةٍ بالحرية إلى محاولة انتزاعها بالقوة، وكان العمل على الإطاحة بالذكورية في مسعى التخلص من كل محاولةٍ للسيطرة والهيمنة، يأخذ مسارا تراجيدياً في كثيرٍ من الأحيان؛ نتيجة تصدّع البنيان النسوي المعزول والمقموع والمهمّش، ونتيجة فائض القوة الذي كرّسته السلطة الذكورية في كل المؤسسات الإجتماعية والنشاطات الميدانية.

كان المدّ الثوري النسوي يواجه خط السلطة الأساسية والخط الداخلي في الثورة الخارج من منشأ الهيمنة المستند إلى عصبيةٍ أيديو–جنسية مقولبة بإطار ديني واضح. وفي توصيف العلاقة بين الدفع الإيجابي للحراك من جهة ونشاط المرأة من جهةٍ أخرى، شكّل التفويض الذكوري لأطرٍ الإستبداد رادعا أساسيا، ما لبث أن صار مكنوناً عبثياً توزّع في المكان–الميدان حدث الثورة (في المشافي، المدارس، حلقات النقاش،..).

حقّقت النساء السوريات خلال فترة قصيرة نجاحاتٍ كبيرة في نقل صورة الواقع السوري المعاش الى الخارج، فلا يمكن الحديث عن الداخل السوري دون العودة إلى الصوت الحقوقي للرائعة رزان زيتونة وهي تتحدى شبيحة النظام الأسدي (والداعشي مؤخراً) في تصميمها على البقاء في الداخل، محاصرةً برجالات العسكر وقذائف الدبابات وصواريخ السكود، تأبى إلا أن ترفع تحقيقها الميداني عن الغوطة الشرقية وأهلها المحاصرين، عن حجم المساعدات التي يحتاجها أهالي المناطق المنكوبة وعن مشاهداتٍ يندى لها الجبين. ورغم ذلك لا يشعر هذا الصوت الجريء بالخوف، فقط المرارة تتوالد من خذلانٍ مستمرٍ وغدرٍ لا يقل خباثةً عن فعل القتل النظامي.

الثورة حاضرةٌ على بابِ دمشقي، سيدةٌ فلسطينيةٌ اسمها أم العبد، بائعة اللبن التي يعرفها جيداً أهالي حي القدم، غادر زوجها المنزل ورفضت إلا أن تمارس عملها اليومي، فتخرج من الصباح الباكر لتبيع اللبن في شوارع دمشق وتعود مساءً لتطعم أولادها عبد وعبد الرحمن وتالا. أم العبد كانت تزاول عملها بنشاطٍ إلى أن سقطت قذيفةٌ قربها منذ حوالي الشهر، فبترت ساقيها ولا تزال في العناية المركزة.

الثورة تتجذّر يوميا في سيدةٍ رقاوية اسمها سعاد نوفل، من اللحظة الأول شاركت في المظاهرات المطالبة برحيل نظام الطاغية، ولم تتوان اليوم عن الخروج إلى شوارع المدينة لتقف وحيدة في كثير من الأحيان أمام مقر «داعش» ترفع شعاراتٍ تدعو فيها إلى الوحدة الوطنية والتفكير لا التكفير، وآخرها كان «عصابة داعش الأسدية، ألا لعنة الله على الظالمين». تقول سعاد في فيلم مصوّر «بصلّي المغرب وبطلع بتظاهر»، أي أنها تنطلق من طقسٍ دينيٍّ تتحدى به من يدّعون احتكار هذا الطقس، ومن يفرضون سلطتهم استناداً إلى خلفياتٍ تعيد ربط الطقس بمشروع الهيمنة والتسلط. سعاد هنا ليست المرأة الضعيفة الغير قادرةٍ على المواجهة مثل الرجل، فعلها البطولي يطيح بذكورية المجتمع، ويؤسس لمرحلةٍ من الوعي الجمعي لقيمة المرأة في المجتمعات الخاضعة لسلطة الإستبداد.

سعاد نوفل أثناء اعتصامها في مدينة الرقة

هي الثورة السورية بطابعها النسوي الواسع، بصبايا السافرات والمحجبات جنباً إلى جنب في داريا، ينثرن الأرز والورود على نعش غياث مطر.

هي الثورة النسوية بخط رزان وصوتها الذي يلهج بالعنفوان والكرامة، بلافتات سعاد وهتافها اليومي أمام مقر الأصولية الدينية، بالصور الموثقة للشمال المحرر بعدسة لبنى الجميلة، بالنص الأدبي لهالا وسمر يقطر وجعا، بأكياس الخبز والطحين تحملها شام أو غيفارا إلى أطفال اليرموك المحاصرين.

هي التاء المربوطة وقد لاحت في حقلٍ للتبغ في درعا، ثابتةً لا تتزحزح، هائمة في مشافي اللغة تبحث عن أول نصٍ خطّه طفلٌ على جدار.

يطيب لنا أن نتغنّى بطينة من نسوةٍ يختزلن الحرية بأسمائهن الحسنى، ويطيب لنا أن ننشد الحلم في عيونهنّ ونحن العابرون دون سلالاتٍ إلى صفاء الحقيقة، عاجزون عن التأويل في تماثل اللغة. وحده الطلق صوابنا الحقيقي على عتبة المنفيين من ورثة المعنى في صورته الأنقى.

كتف امرأةٍ يحوّل حلم النهار إلى ظل الروائح، حيث يتمدد الحالم برغبةٍ في تعلّم الطيران. كتأوّج طقسٍ مقدّس، كعذراء النار في ممرات الجحيم، كملاكٍ بين سحب السماء، تطلّ علينا امرأة كل الفصول، امرأة الثورة.. سلام لها وعليها أينما حلت.

معضمية الشام
كارثةٌ انسانية.. صمودٌ في وجه الحصار

ياسمين محمد

غيمة رمادية خيمت على تلك المدينة، وأبت أن تنجلي عنها منذ بداية الثورة ملحقة بها أشد العواصف قسوة. تلك المدينة الصغيرة الواقعة غربي دمشق مجاورة لداريا وحي المزة الدمشقي والمسماة «معضمية الشام»

سبعة عشر شهراً من الحصار، مدةٌ كافيةٌ لجعل سكان هذه المدينة الريفية أسرى للجوع والمرض وفقدان كافة المستلزمات المعيشية، فمنذ فترةٍ طويلة بدأت حكاية الحصار ومنع دخول الطعام إلى المدينة، بما فيه الحليب والخبز، مما اضطر سكان المدينة للالتجاء لفرنٍ يتيمٍ يسعى جاهداً لتأمين الخبز بعد قصف قوات النظام لأفران المنطقة، ومنع دخول القمح إلى المدينة، والذي أصبح سلعةً نادرةً إن وجدت بيعت بأربعة أضعاف سعرها في السوق السوداء، شأنه شأن باقي المواد الغذائية ذات الاسعار شبه الخيالية «إن وجدت» فلا طعام يدخل إلى المدينة المحاصرة. لم يبق للسكان سوى أن يقتاتوا على ما ادخروه من طعامٍ ومؤونةٍ قبل الحصار، لكن كما يقال مالا ينبع حتما سينتهي، وهذا ما حدث، حيث بدأت المجاعة تكّشر عن أنيابها للنيل من سكان المدينة، خاصةً بعد قيام اللجان الشعبية بمنع دخول المساعدات الأممية إلى المنطقة.

حالةٌ مأساويةٌ لا تخفى على أحدٍ تعيشها المعضمية، فقد تحول كل ما فيها إلى وحشٍ يفتك بسكانها، حتى الشتاء لم يعد يرحمهم، فلا وقود يدخل إلى المدينة ليقيهم من قسوة البرد، ولم يبق لهم إلا ما يملكونه من ملابس وأغطية للتدفئة.

معضمية الشام – خاص حنطة

عائشة شابة من سكان المعضمية تحكي قصتها المريرة مع أسرتها داخل أسوار هذه المدينة المحاصرة، شأنها شأن كل أسرة في المعضمية عانت فاجعة الفقدان، فقد فقدت أخاها في أحد الانفجارات التي وقعت في المدينة تقول عائشة: «لا أدري ماذا أقول أو كيف أوصل صورةً لا أظلم فيها قساوة الحياة هنا وما يعانيه سكان المعضمية المحاصرين؟ الحياة هنا صعبة بل شبه مستحيلة، فقد استباح الجوع سكان المدينة، حيث وقع الكثيرون منهم ضحايا له، ناهيك عن الأوبئة والأمراض التي انتشرت بكثرة، خاصة بعد قطع المياه منذ حوالي تسعة أشهرٍ ولجوء السكان إلى البئر للحصول على الماء»

المعضمية أو مدينة الدم والظلام والتي لم ترَ النور نتيجة قطع الكهرباء عنها، والذي استمر لفترةٍ طويلة، مدينةٌ تحاول لملمة جروحها، ومسح دمائها بعد أن سال دم أبنائها غزيراً على ترابها، مدينةٌ تمسّكت ببقايا أملٍ منثورة، لتبقى مدينةً تحيا بأرضها وأهلها، لاتزال صامدةً واقفة في وجه الحصار.

الاستهبال

من ذاكرة أبو محمود الطنبرجي

مأمون الجعبري

يغمض أبو محمود عينيه ليحمله الزمن بعيداً، إلى شبابه الأول، وتجربته الأولى في دخول وكر الوحوش البشرية.

أبو محمود ابن تلك القرية الجبلية الجميلة، وقد نزل من حصنه باتجاه المدينة، مزوداً بأحلام والديه اللذين صرفا كل عمرهما في تربيته وأخوته، ومدعّماً زاده بعلامةٍ متفوقةٍ حصل عليها في الثانوية، خولته دخول فرعٍ من فروع الهندسة، هذا الإرث الممزوج مع غرورٍ الجبلي جعل من أبو محمود يخال نفسه الإسكندر المقدوني، ولم يكن يحسب لتلك اللحظات التي ستمر عليه متمنياً حينها لو أنه لم يخلق أساساً، وأخفيتُ عنكم علامة فارقةً لأهل قرية أبو محمود، أنها كانت من القرى التي ترضع أبنائها فيتامين المعارضة، فقلما خلت سنةٌ ولم يخطف الجلادون ابناً من أبنائها، ليغيب مع مصيره بلا عودةٍ، إلا بعد سنواتٍ تمر، والعائد إما مجنونٌ أو على مشارف الموت، ولم يسلم أبو محمود من هذا الفيتامين، فهبط إلى المدينة محملاً ببعض اللاءات التي كانت محرمةً حينها، وهذبتها المدينة بانتمائه إلى أحد الأحزاب المحظورة، وهكذا أصبح أبو محمود أحد الناشطين البالغي الجرأة في زمنه، وبعد إصدار بيانٍ من الحزب الذي ينتمي إليه، وذلك سنة ١٩٨٦ يطالب فيه بسقوط الدكتاتورية التي تربّع على عرشها في ذلك الزمن الرديء الدكتاتور الأب الجزار، الذي طار صوابه حين عرف بالبيان، وأوحى إلى كلابه باجتثاث هذا الحزب الذي لم يملك في يومٍ سكيناً، وكانت نضالاته لاتتجاوز المنشورات والجرائد، وفي قمة هستيرية الأب الجزار، أعطى قيادة العمليات لأشرس كلابه حينها، مايسمى بالأمن العسكري، مزوداً إياهم بالصلاحية المطلقة دون حساب، وفجأةً وذات صباح دخل ثلاثةٌ مدرّج الجامعة مطالبين بأبو محمود، الذي وقف معلناً عن نفسه، لأنه أدرك أن تلطّيه لن يفيده فالعيون كثيرة، وهكذا اقتيد ذلك القروي الحالم مكبّل اليدين، مغمض العينين إلى جحر الكلاب، وقبل أن يُسأل أي سؤال، أو أن يصل إلى أية غرفةٍ، كان قد صُفع ولُكم عشرات المرات من قبل كل من مروا به، دون أن يرى وجوههم.

وفور وصوله إلى تلك الغرفة كان أحدهم يتمشى بهدوء، وشاهد أبو محمود من أسفل عصابة

عينيه حذاءً لامعاً أسود يتخاتل على سجادةٍ حمراء، وأتى السؤال مباشرةً: «متى انضممت إلى الحزب؟» يرد أبو محمود ببلاهة: «انضممت في الصف العاشر، لأني كنت من المتفوقين وكان هناك تعليماتٌ بضم العشرة الأوائل».

صمتٌ يخيّم، يكسره الحذاء الأنيق ليسأل مجدداً ذات السؤال وبصوتٍ أكثر جديةً وأقل ثقة، يجاوب أبو محمود المستهبل أنه الموجه في المدرسة، وهنا يتخلى ذاك الكلب الأنيق عن مابقي من تهذيبه، ليهجم شخصياً على أبو محمود، مبتدئا معركةً من طرفٍ واحدٍ مستخدماً كل المواهب الحيوانية التي أعطيت له، على شكل سيلٍ من الرفسات واللكمات وشد الشعر، وصولاً إلى رمي أبو محمود على الأرض، ليبدأ تدعيساً بحذائه الذي بدأ يتلون بالأحمر الدموي، ومترافقاً مع كومةٍ من الشتائم الممزوجة بالبصاق والحقد، وعبارة «ماعم إسألك عن حزب البعث يابن القحبة»

ليستمر أبو محمود من حينها، وعمداً، في معركته ضد الظلام.

حرّاقات لتكرير النفط وأجنة مشوهة

تقرير: نوار خليفة

برزت ظاهرة تكرير النفط في المنطقة الشرقية، وخاصةً في مدينة دير الزور وريفها منذ ما يقارب العام. وحسب تصريحات بعض الخبراء أن هذا النفط الخام يرافقه ماءٌ يحتوي على أشعة بيتا وغاما وألفا. تسبب هذه الاشعة أمراضاً كثيرةً ومنها (أمراض جلدية، أمراض تنفسية..)، كما سُجّلت حديثاً أمراضٌ سرطانية، نتيجة تلوث نهر الفرات بالنفط ومخلفاته.

تتم عملية تكرير النفط بطرقٍ بدائيةٍ (حراقات)، يتم إشعال النار تحت (الحراق) لكي يصل إلى درجة غليانٍ معينة، ونتيجةً هذا الغليان والحرارة العالية يظهر بخارٌ وهو الغاز الطبيعي الذي يُستعمل في البيوت، وقد أكد لنا عدة أشخاص من الذين يقومون بعملية التكرير، ونتيجةً لممارستهم لعملية التكرير بشكلٍ دائم، أنهم اكتسبوا خبرةً معينة، فعند اشتمامهم الرائحة الناتجة عن التكرير يعلمون أنه قد انتهى ظهور الغاز وبدأ ظهور البنزين، ومن اللون أو الرائحة يعلمون أيضاً أن مرحلة البنزين قد انتهت وبدأت مرحلة المازوت. يقول أحمد البالغ من العمر خمسة عشر عاماً (ذو خبرة جيدة في تكرير النفط) أنه يعلم ما هو الناتج من الحرق بمجرد اشتمامه للرائحة أو النظر إلى اللون، ويقول أننا وبعد استخراج المازوت نحصل على مادةٍ تسمى الشحم، تتم الاستفادة منها في كثيرٍ من الأمور.

حراقات يدوية لتكرير النفط – دير الزور – خاص حنطة

يقول الطبيب مصطفى أحد أطباء الأطفال من ريف دير الزور: «نتيجة الصراع القائم في سوريا، أصبحت ظاهرة تكرير النفط مشهداً يتكرر ويتزايد حضوره، ومعظم الأيادي التي وُضعت على آبار النفط هي من قوى المعارضة السورية، أغلبها من العشائر التي تعتبر هذا النفط مصدر الرزق، والحل البديل لعدم توفر الغاز أو الوقود أو المازوت، يتم ثقب أنابيب النفط أو الاستيلاء على بئر نفط في منطقةٍ ما، وبيع النفط الخام علناً، حتى أن هناك أسواق منتشرة على طول الطرقات لبيع هذه المادة، ومن ثم يلجأ الكثيرون إلى التكرير، ولكن نتيجةً لهذا التكرير ظهرت حالاتٌ مرضيةٌ عديدة، وأهمها التشوه الجنيني، سابقاً في منطقتنا كانت تسجل حالةٌ واحدةٌ في الشهر، أما الآن وبسبب تلوث البيئة نتيجة بدائية التكرير، وما خلّفه من دخانٍ متصاعد أسود ورائحة، أصبحت هذه الظاهرة تتصاعد حتى وصلت إلى ما يقارب حالة ولادةٍ لجنينٍ مشوه يومياً. مثلاً يلاحظ ولادة أجنة لديها حالة تسطّح الوجه، أو فراغ في الجمجمة، ولا يوجد اليوم مراكز متخصصة في مدينة دير الزور أو في ريفها لعلاج هذه الأزمات أوالوقاية منها. هل يمكننا أن نوجّه ونطلب من العاملين في تكرير النفط أياً كانوا أن يقوموا بعملية تكرير النفط في مناطق بعيدة عن الأحياء السكنية، وفق طرقٍ أكثر أماناً؟ هل هناك من يسمع؟ طالما لا نستطيع أن نطلب من أحدٍ التوقف عن ذلك، أو حتى أن نفكر في توجيه أي لومٍ في هذه الظروف الصماء؟»

حراقات يدوية لتكرير النفط – دير الزور – خاص حنطة

ينهي الدكتور مصطفى كلامه دون كثيرٍ من الأمل: «لست متأكداً من أن هنالك من يعنيه الأمر وسيحرك ساكناً، على أية حال نناشد المنظمات الداعمة بإيجاد حلولٍ ولو كانت مؤقتةً، كحراقاتٍ كهربائية تفي بالغرض وتحقق ضرراً أقل، وبالمقابل تركيز مسألة العناية في المشافي والمراكز التي يتم فيها علاج أمراض تلوث التكرير، كالأمراض الجلدية والتنفسية وحالات الربو أو شلل الأطفال.»

حاضنة الجيش الحر في مدينة حلب

محمد جوزيف

يقول كثيرون بأن حلب أُقحمت في الثورة رغماً عنها، وأن الجيش الحر قد أخطأ عندما توسع في عمله العسكري ليصل إلى حلب، دون جاهزيةٍ تامةٍ أو تنسيق وما إلى ذلك.

عند لقائي لعدة ناشطين ميدانيين في مدينة حلب حول رأيهم بالجيش الحر، وما هي توقعاتهم حول الأسلحة بعد سقوط النظام، قابلت ثلاثة ناشطين (سلميٌّ ضد العسكرة كما درجت التصنيفات، وآخر كان مع الجيش الحر وما زال، وثالثٌ كان مع الجيش الحر ولكنه لم يعد كذلك الآن) طرحت عدة أسئلة وكانت الإجابات كما يلي:

تخبيص بتخبيص

-«في البداية كنت ضد فكرة وجود الجيش الحر، فقد ظهر مبكراً جداً، وهنا نتحدث عن البداية الفعلية لوجوده وليس عن إعلان تشكّله، لم يعطِ الفرصة تماما لانتشار فكر الثورة والتحمس لها ضمن الأفراد الذين كانوا مترددين بالانخراط والمشاركة، مما جعل العديد من المعارضين يتخذون موقف الصامت المتفرج غير المشارك، مما أدى إلى التأثير سلباً على مسار الثورة بظهوره، فعدا عن الفكرة الموضحة سابقاً فلظهوره تأثيرٌ في تصعيد العنف المرتكب من النظام، وبالتالي زيادة الضحايا، سواءٌ البشرية أو المادية، وهل تستطيع العسكرة إسقاطه بالنظر لكل ما يجري دولياً، بالإضافة إلى الاستياء والتعب الشعبي؟ بصراحة رأيي بالجيش الحر هو بالعامية: (تخبيص بتخبيص!)، فالتحرير لا يكون بالدخول للأحياء السكنية؛ مما يعطي حجةً لقصفها وتهجير سكانها وخلق مأساةٍ بشريةٍ ضمن حربٍ غير متكافئة القوى، إن كان لابد من العسكرة فكان الأبدى توجيه ضرباتٍ تقصم ظهر النظام، كالتوجه إلى مناطق نفوذه (لا لغاياتٍ طائفية إنما لأنها مراكز ثقله وقوته)، كما أنني لا أعتقد أن محاسبة أي أحد من العناصر المخطئين تحدث بالفعل، بالعكس، ولنا في أحمد عفش خير مثال!!

كما أن السرقات والفديات غير مبررة، حتى لو كانت الغاية فعلا تمويل سلاحٍ أو غذاءٍ لحماية النفس أو المكان وما إلى ذلك، ونحن ندرك أنه ليس كذلك، فهي باب رزقٍ غير مبررٍ أو مشروع، وقد انفتح لهم ولغيرهم على حجتهم إلى وقتٍ غير معلوم.

نعم، أعترف بأن خيار السلمية هو خيارٌ رومانسيٌّ في مواجهة أي نظام، لكنه الأقل دمويةً وتدميراً، ويعتمد على جهدٍ يبذل على المدى الطويل، ولا أعتقد أبداً أنه بالإمكان السيطرة على الأسلحة بعد سقوط النظام، فحاملي السلاح من اليوم يخبئون السلاح لضمان فرض مواقفهم في المستقبل. غالباً بعد سقوط النظام سندخل ضمن دائرة كبيرةٍ من الاقتتال بين الكتائب المختلفة في وجهات نظرها وتمويلها وولائها.»

من حمل السلاح لاحقاً كان متظاهراً سلمياً في البداية

أما بالنسبة للناشط الذي ما زال يؤيد الجيش الحر ويحاول أن يوضح صعوبات التي تواجه الجيش الحر فقد أفاد:

-«أنا مع الجيش الحر، فقد كانت قوات النظام تعيث فساداً وتقتل المتظاهرين سلمياً، وتعتقل وتعذّب، وكان ظهور الجيش الحر حاجةٌ لدرء شرِّ قوات النظام التي ارتكبت الفظائع بحق المتظاهرين السلميين، فقد ثَبُتَ أن المظاهرات لن تسقط النظام أبداً لأنه مجرم.

الجيش الحر بغالبيته من المدنيين الذين حملوا السلاح دفاعاً عن أعراضهم وحقوقهم، فما يقوم به الجيش الحر هو عملٌ جبّارٌ في ظل قطع السلاح والذخيرة عنه، وما قام به من تحرير قطعٍ عسكريةٍ، واغتنام الأسلحة والذخائر منها، لهي أعمالٌ بطولية،

كما أنني أرى بأن الانتقادات الموجهة له مبالغٌ فيها، فأغلب تلك الانتقادات تأتي من أشخاصٍ لديهم حكمٌ مسبقٌ على الثورة المسلحة، ويرفضونها ظنّاً منهم أنها قضت على الثورة السلمية، ويغفلون حقيقة أن من حمل السلاح بغالبيتهم هم ثوّارٌ تظاهروا سلمياً، ووجدوا أنه لا فائدة مرجوةً من الاستمرار في التظاهر السلمي في ظل إجرام النظام بقتل المتظاهرين وتعذيبهم.

أما محاسبة المخطئين هناك بعض القيادات التي تحاسب بالفعل عناصرها المخطئين، ربما ليس بالشكل المثالي، ولكن منذ عدة أشهر تحسّن وضع تلك القيادات، وأصبحت تهتم لسمعتها وتحاول محاسبة مخطئيها.

ولكن يبقى هناك بعض المجموعات التي شُكّلت على أساس السرقة واستغلال الانفلات الأمني، وعدم وجود قيادةٍ مركزيةٍ لمحاسبة الجميع، حصلت هناك حالات خطف عديدة، كان المسؤول عنها عصابات مسلحة تدعي انتمائها للجيش الحر، حيث شُكّلت بعض الكتائب لغايات السرقة والخطف واستغلال الوضع الراهن.

برأيي أنه وبالتأكيد سيسقط نظامٌ فقط بالقوة العسكرية ، لأن هذا النظام لا يريد لا الحوار ولا أية مفاوضاتٍ سياسية ليتنحى، ولا نغفل عن أن من يبقي هذا النظام هو الدعم الإيراني والروسي اللوجستي والدعم الغربي بمنع صدور قرارات إدانة.

أما موضوع بقاء و انتشار الأسلحة لما بعد السقوط، فلا أعتقد بأنها ستكون عمليةً سلسةً في ظل ظهور عصاباتٍ مسلحة تدّعي انتمائها للجيش الحر، ولكن الوضع الذي سيضع حداً للسيطرة على الأسلحة المنتشرة هو توحّد بعض القوى العسكرية الكبيرة، التي تشكّل نواةً للجيش الوطني، فهي إن توحّدت سيكون لديها القدرة على سحب تلك الأسلحة بالقوّة إن لزم الأمر، و بالتالي تشكيل جيشٍ وطني متوافقٍ عليه سيكون له الدور الكبير في استيعاب حاملي السلاح، وذلك بطرح مبادرةٍ تقضي بأحد الأمرين، إما الانضمام إلى الجيش الوطني، وإما تسليم السلاح.»

انتهاكات الجيش الحر باتت تشكّل مقاربةً مع ممارسات الجيش النظامي، ويالللمفارقة!

أما الشاهد الأخير الذي يشعر بأن الجيش الحر قد خذله فكانت إفادته:

-«في واقع الأمر لم أكن مؤيّدةً للتسليح أو لفكرة الجيش الحر، ولكنّي كنت متفهّمةً لذلك الواقع الذي فرض نفسه وتم فرضه قسراً، بمعنى أنّ عنفاً كالذي جوبهت به الثورة كان من الطبيعي أن ينتج حالات عنف مقابلة، وكان لتأطير هذه الحالات ضمن إطار الجيش الحر أهميةً كبرى، لكن الأمر الآن اختلف، وربّما لم أكن مدركةً في الحقيقة لعواقب التسليح، إضافةً إلى أن استطالة مدة الثورة أدّى إلى ما نراه اليوم من انتهاكاتٍ وتجاوزات، عدا عن أنّ باب الجيش الحر كان مفتوحاً للجميع دون انتقاءٍ أو اختيار، وانتفاء المحاسبة أو الردع للانتهاكات التي بدأت صغيرةً ثمّ أصبحت عامّةً وكبيرة.

أما بخصوص رأيي عمّا يقوم به الجيش الحرّ، فأنا لست بمحللةٍ عسكريّة، ولكن حسب مشاهداتنا اليومية بتنا نعلم أن ما يقوم به الجيش الحر على مستوى مدينة حلب ليس هو الصواب على الإطلاق، فدخوله إلى الأحياء السكنية دون امتلاكه القوة الكافية التي تمكّنه من المحافظة عليها وحمايتها، أدّى إلى كثيرٍ من المجازر والسرقات، عدا عن السرقات التي حدثت من قبله بحدّ ذاته، وعند انتقاله إلى الهجوم على المراكز الأمنية في المدينة عُدَّ ذلك تصحيحا لما بدأه، لكنّه لم يستطع إحراز أي تقدّمٍ يذكر على هذه الجبهات، وكثرت الأقاويل حول أنّ تخاذله والخلافات بين الكتائب هي السبب الأقوى في ذلك.

كما لا أرى أن الانتقادات الموجهة للجيش الحر مبالغٌ فيها، فالذي يجري هو سرقاتٌ بالملايين، وقتلٌ لأرواحٍ بشريّةٍ، وانتهاكاتٌ حقيقيّة في أماكن

مختلفة، ليس أمراً يمكن التغاضي عنه، في واقع الأمر إنّ انتهاكات الجيش الحر باتت تشكّل مقاربةً مع ممارسات الجيش النظامي، ويالمفارقة!

من ناحيةٍ أخرى حدثت بالفعل بعض المحاسبات لبعض التجاوزات من قبل عناصر الجيش الحر، ولكنّها ليست بالقوة أو الشكل المطلوب، بعض القيادات أو العناصر التي ثبتَ عليها قيامها بانتهاكاتٍ لا تزال طليقةً دون محاسبة، حتّى أنّ الانتهاكات التي قامت بها متناساةٌ ومتغاضى عنها للأسف، كما أنّ السرقات التي يقوم بها مبرّراً بذلك التمويل أو التسليح، غير مبرّرةٍ على الإطلاق، في نهاية الأمر هو يسرق من الشعب، ما الذي اختلف فيه عن النظام حين كان يسرق قوت الشعب بحجّة المقاومة ومواجهة الجيش الإسرائيلي!

أما كيف سيسقط النظام فلا رؤيا واضحة لدي عن ذلك، ولكنّي أرجّح إمّا الانقلاب العسكري، أو الحل السياسي، وأستبعد جدّا أن يسقط النظام نتيجة القوة العسكرية للجيش الحر.

بالنسبة لتسليم الأسلحة ما بعد سقوط النظام باتت تلك فكرةً حالمةٌ جداً، فالسلاح انتشر بشكلٍ كبير، ولا أظنّ أن سحب السلاح سيكون بالأمر البسيط، وأتوقع أن تحدث معارك قويّة بين الجيش الوطني المزمع تشكيله وضبطه، وبين من يرفض تسليم سلاحه وذلك على مدىً طويل، إن تم أصلاً تشكيل ذلك الجيش المأمول الذي يحمل هيبة الكلمتين(جيش، وطني).

وأخيراً هل كان ظهور الجيش الحر بالفعل نقطة لصالح النظام؟ وهل قام بخذلان أهالي مدينة حلب؟ وإن كان كذلك فهو سؤالٌ برسم التوضيح من قبل قيادات الجيش الحر نفسه، لا أدري، هل بالغنا بانتقادات الجيش الحر، مع علمنا بكيفية تشكيله وماهية عناصره وأيديولوجيته؟»

الهيئة الاعلامية من أجل سورية حرة و ديمقراطية

نحن مجموعةٌ من الفرنسيين من أصولٍ سورية، نُعلن عن تأسيس هيئةٍ إعلاميةٍ بهدف مواجهة آلة إعلام النظام الممنهجة (بروباغندا)، في فرنسا وفي بقية دول العالم. هدفنا هو الدفاع عن الثورة السورية التي تتعرض للتشويه. نحن ننتمي إلى سوريا المدنية التعددية، مهد الحضارات والشعوب، إلى سوريا أرض التعايش بين القوميات والطوائف منذ قدم التاريخ. صورة ما يحصل في سوريا غير واضحة ومشوهة تماماً لدى البعض، الإعلام الفرنسي يلجأ إلى تعابير معينة في نقل الأخبار تكرّس هذه الصورة المشوّهة: (حرب أهلية، مجموعات إرهابية، مقاتلين، تطرف إسلامي، إلخ). تعابير تخالف في جزءٍ منها واقع الثورة السورية وحقيقتها. بالطبع لا يمكننا نسيان أثر بعض الاعلاميين الغربيين الذين يعملون لحساب النظام السوري وبتمويلٍ مباشرٍ منه منذ بداية الثورة. نحن واعون لصعوبة فهم ما يحصل في سوريا وللكمية الهائلة من المعلومات –المتناقضة أحيانا– التي تصل للشعب الفرنسي، لذلك قررنا إنشاء هذه الهيئة الإعلامية ولها أهدافٌ متعددة:

–أولاً: التنديد بالجرائم التي تحصل كائناً من كان فاعلها.

ثانياً: نشر معلوماتٍ صادقةٍ وموضوعيةٍ عن الثورة السورية وبكل شفافية.

ثالثاً: تنظيم فعالياتٍ حول الثورة السورية (محاضرات، مقالات، أفلام، سهرات ثقافية، مسيرات صامتة...) بهدف إظهار وجهها وصورتها الحقيقية.

رابعاً: المشاركة في الفعاليات التي تقام عن سوريا ومستقبلها في فرنسا.

خامساً: شرح مبادىء الثورة السورية وأهدافها التي انطلقت من أجلها، والتذكير بتاريخها ومراحل تطورها وانتقالها، من ثورةٍ سلميةٍ إلى ثورة مسلحة، كردة فعلٍ على القمع الدموي الذي تعرض له الشعب السوري على يد النظام الشمولي،

سادساً: التذكير بتاريخ وحقيقة النظام الديكتاتوري والشمولي السوري القائم منذ واحدٍ وأربعين عاماً، والذي أدى لثورة الشعب السوري، من أجل التخلص منه.

المسؤولية التي تقع على عاتقنا كبيرة والجهد الذي سنبذله سيكون أكبر، وسنسعى لتحقيق أهداف الهيئة الإعلامية بمساعدة كل القوى الديمقراطية الفرنسية الموجودة على الساحة السياسية، سنحاول الوصول للإعلام الفرنسي بجميع أشكاله (راديو، تلفزيون، جرائد، وسائط الكترونية) فهذه الثورة اليتيمة وهذا الشعب السوري الثائر بكل طوائفه وأعراقه ضد الاستبداد والظلم، يقعان تحت مخاطر الحرب الأهلية ويستحقان منا العمل الدؤوب.

الهيئة الإعلامية من أجل سوريا – خاص حنطة

المؤسسون لهذه الهيئة هم :

– د. نجوى سحلول، مدرّسة وباحثة في جامعة ليون الثالثة، دكتوراة في علم اللغات – السيد حسين شيخي، مسؤول تربوي.

_السيد أنور عمر، مهني.

_السيد ناظم بدر الدين، موسيقي ومهني.

_ د. محمد حسون، أستاذ وباحث في علم المعلومات والاتصالات، جامعة ليون،دكتوراة في المعلوماتية.

_د. توما الحكيم، دكتوراة في الهندسة المعمارية، اختصاص تصميم وإعادة بناء.

_د. عزام أمين، مدرس وباحث في جامعة ليون، دكتوراة في علم النفس الاجتماعي وما بين الثقافات.

البحث عن الحل السياسي المفقود

مروان عبد الهادي

منذ بداية الثورة، بدأ البحث عن حلٍّ سياسي لحرب النظام على الشعب في سوريا، وشكلت الدعوات العربية والدولية بهذا الخصوص، جوقةً غير منسجمة، لفتح باب الحل السياسي الذي أغلقه النظام، بوقوفه ضد أي مبادرةٍ سلميّة.

بعد مرور أكثر من عامين ونصف على انطلاقة الثورة السورية، تبدو المحاولة الأمريكية والروسية أكثر جديةً لعقد مؤتمر جنيف(٢)، لحل «الأزمة السورية» كما يسمونها، وضرورة إيجاد مخرج سياسي لها، خاصةً بعد اتفاقهما «الملغوم» على تجريد سوريا من أسلحتها الكيميائية، والذي يُعد نصرا كبيرا لأمريكا واسرائيل.

دعا مؤتمر جنيف(١) الذي عقد في (حزيران-٢٠١٢)، إلى تطبيق خطة «كوفي عنان»، التي تتضمن»وقف القتال والعنف بكل أشكاله، ومن كل الأطراف، وسحب القوات العسكرية من التجمعات السكنية المدنية، وضمان تقديم المساعدات لكل المناطق، والإفراج عن المعتقلين، وضمان حرية الصحافة، واحترام حرية التجمع والتظاهر السلمي» وغير ذلك من الكلام الإنشائي الجميل.

كما دعا المؤتمر إلى عملية انتقال سياسية، «وتشكيل حكومة انتقالية تتمتع بكامل سلطتها التنفيذية»، لكنه لم يحدد مصير الطاغية، فاستمر الخلاف حول تفسير البيان الصادر عن المؤتمر ومقاصده، ولم يتم تنفيذ أي شيء، بسبب عدم قيام مجموعة العمل الدولية حول سوريا، بقيادة أمريكا بأية إجراءاتٍ عملية لتنفيذه، رغم إدراكها بأن النظام لن يقدم على تنفيذ أي بندٍ من بنوده إلا بالقوة العسكرية، أو بضغطٍ سياسيٍّ كبير، كما يستحيل تشكيل حكومة انتقالية، تتمتع بكامل الصلاحيات بوجود الطاغية على رأس السلطة، أو حتى وجوده على أية بقعة من الأراضي السوري.

رحل «عنان» وجاء «الابراهيمي»، وأصبح الصراع العسكري أكثر عنفاً، ودخلت عناصر القاعدة إلى ساحة الصراع، واختلطت الأوراق، وبلغ عدد الشهداء مئات الآلاف، ونزح ملايين السوريين عن ديارهم، وتفاقمت معاناتهم مع مرور الوقت، إلى حد الموت جوعاً.

تأتي الدعوة إلى جنيف(٢)، في الوقت الذي لازال الصراع العسكري على الأرض، يراوح في المكان منذ أكثر من عام، بحيث أن الحسم لأيٍّ من الطرفين يبدو مستحيلاً، على الأقل في المرحلة الراهنة، ولم تتغير بنية النظام بشكلٍ يؤثر في الأحداث، بل تضاعفت شهوته للعنف والقتل والتدمير للحجر والبشر، غير أنه يشعر بالانتعاش بعد صفقة الكيماوي، حيث أمن جانب أمريكا مؤقتاً.

يرجح أن قبوله حضور مؤتمر جنيف بدون شروط، ليس إلا مراوغةً أولية، وسرعان ما سيضع شروطه بالتدريج، فليس وارداً أن يحاور من يتهمهم بالإرهاب، أو «المعارضة المرتبطة بالخارج»، وأن يبحث موضوع «السيادة»، أي أن مصير الطاغية غير قابلٍ للحوار.

باختصار مازال النظام يرفض كل الحلول السياسية، التي يمكن أن تؤدي إلى تنحيته عن السلطة، ولازال يخطط لتفصيل معارضةٍ على مقاسه، من الأحزاب التي شكلتها المخابرات السورية منذ أكثر من عامين، والرموز القديمة في «الجبهة الوطنية التقدمية» الحاكمة، وربما يحتاج بعض رموز «هيئة التنسيق»، التي أعلنت استعدادها لحضور المؤتمر.

بالمقابل، إن المعارضة السياسية الممثلة بالائتلاف، ورغم الخلافات الداخلية، والهوة الموجودة بينه وبين الكتائب المسلحة، ووجود بعض الأفراد أو المجموعات التي يمكن أن تقبل بالحوار مع النظام، إلا أنه –الائتلاف– لن يقبل بالتخلي عن ثوابت الثورة، وهدفها الأساس المتمثل بإسقاط النظام، أو تنحية الطاغية وعائلته، وأركان سلطته كحدٍّ أدنى، مطلبٌ لابد من تحقيقه، لبدء الانتقال التدريجي السلمي نحو بناء الدولة المدنية الديمقراطية.

كل ذلك يؤشر إلى استحالة التوصّل إلى حلٍّ سياسي في المرحلة الراهنة، سيما أن الكتائب المسلحة أعلنت رفضها القاطع لأي حلٍّ سياسي لا يتضمن رحيل الطاغية.

في ظل هذا الاستعصاء السياسي، يبدو أن ملامح الحل ترسمه ساحة المعركة، حيث يلاحظ أن المواقف السياسية الدولية تتبدل وفق تطورات المعارك على الأرض، منطق الثورات المسلحة في العالم كله يقول ذلك، حيث الموقف العسكري هو الذي يفرز الحلول السياسية المؤقتة أو النهائية، وتجربة الثورة السورية تُشير الى ذلك بوضوح، قبل الثورة لم يكن موقف الأنظمة العربية والدولية معادياً للنظام السوري. إلا أنه مع تقدم الجيش الحر على الأرض بسرعة، خلال الأشهر الأولى من عمر الثورة المسلحة، تحول الموقف العربي والدولي، ليصبح معادياً بشكلٍ مباشرٍ للنظام السوري، واتخذ العديد من الإجراءات، والعقوبات، ضد النظام، وطالب برحيل الطاغية، وتم تزويد المعارضة ببعض الدعم اللوجستي والعسكري. ورغم أن هذا الدعم لم يكن كافيا لإسقاط النظام، لكن كان من الممكن أن يزداد أكثر لو أحرز الثوار نتائج نوعية وتم ترجيح ميزان القوى على الأرض لصالح الثورة. وهذا الدعم لا يعني أبداً أن الدول العربية والغربية مهتمةٌ بالثورة والشعب، بقدر اهتمامها باحتواء الثورة إذا قاربت على الانتصار. وهذه نقطةٌ جوهرية في تفهّم الموقف الدولي وخاصة أمريكا، لكن عدم قدرة المعارضة على ترجيح ميزان القوى لصالحها، ومراوحة الصراع في المكان منذ أكثر من عام، جعل الموقف الدولي يتراجع ليقف في الوسط. وإن حصار أمريكا والغرب، للمعارضة وعدم السماح بتزودها بالسلاح النوعي، وعدم جدية الغرب في دعم المعارضة لإسقاط النظام، يُشير إلى أن من مصلحة الغرب الحفاظ على هذه المراوحة، حتى يستمر النظام والثورة، في حالة استنزافٍ مستمر، وهي الحالة المثلى لإسرائيل.

جاءت صفقة الكيماوي مع النظام منقذاً لأمريكا، لأن الصفقة بالنسبة لأمريكا واسرائيل أهم من الشعب السوري وثورته وشهدائه، وهي فرصةٌ لأن تلعب مع الروس، لملئ الفراغ السياسي والإعلامي على المستوى الدولي، للصراع المفتوح في سوريا. والبحث عن ترضيةٍ وهميةٍ للنظام، كجائزةٍ لتخليه عن الأسلحة الكيمائية، ومع معرفة الجميع بصعوبة التوصل إلى الحل السياسي السلمي، لكن يبدو أن أمريكا وحلفاء النظام بدعوتهم الحثيثة لعقد مؤتمر جنيف، يحاولون بخبثٍ جرّ المعارضة السياسية لطاولة النظام، والذي سيؤدي إلى المزيد من تفتت وانقسام المعارضة. ثم بعد ذلك تتم محاصرة المعارضة المسلحة، باعتبارها منظماتٍ إرهابية، والسعي إلى تصفيتها، والتصريحات الامريكية حول ضرورة رحيل الاسد ونظامه، ليست أكثر من تصريحاتٍ إعلامية، للتميّز عن الموقف الروسي، ورغم كل التدخلات الخارجية في مسار الثورة السورية، إلا أنه ليس من الصحيح، أن الثورة أصبحت بالكامل لعبةً بيد الخارج، أو دميةً صناعيةً يتم التحكم بها آلياً من الخارج. بمعنى آخر؛ الحل ليس بيد الخارج كما يحلو للبعض الذي يريد أن يضع كل أوراق الثورة بيد الخارج، ثم يشتمون هذا الخارج الذي لا يعمل الا لمصالحه الخاصة، قد يحاول هذا الخارج، إرسال قواته العسكرية ليحارب إلى جانب النظام، كما تفعل إيران وعملائها في المنطقة، وقد يحاول الغرب حصار الثورة، وتجفيف منابع تمويلها، وتشويه سمعتها في الخارج، إذا رفض الثوار الذهاب الى طاولة النظام، في جنيف أو غيره. لكن هذا كله لن يُوقف الثورة، رغم تأخر انتصارها، فالطريق مسدودٌ أمام أيّ حلٍّ سياسي في المرحلة الراهنة، وبالتالي إن عُقد هذا المؤتمر فلن تكون نتائجه أفضل من جنيف(١)، وكل من يحضر من المعارضة مؤتمراتٍ كهذه التي

تعمل على تحديد النظام وليس إسقاطه، فإنه يغمر نفسه في مستنقع النظام، فالعائق الرئيسي أمام الحل السياسي هو النظام، وليس المعارضة التي ترفض الحوار على طاولة النظام. والثورة السورية هي بالأساس ثورة سياسية، ومن الطبيعي أن يكون البحث عن الحل السياسي السلميّ هدفها الأساسي. لكن قدرها أن يتحول صراعها السلمي مع السلطة، ليس إلى صراعٍ مسلحٍ فقط، إنما إلى صراعٍ وجودي، ومفتوح، وبالتالي انعدام أي حلٍّ وسطٍ بين الشعب والنظام.

لم يعد الحل السياسي ممكنا عند الشعب برعاية الطاغية، إنما يبدأ هذا الحل برحيله. وهذا الصراع المفتوح في سوريا لا يمكن إغلاقه، إلا بتنحي الطاغية، حتى لو استمر الصراع لسنواتٍ طويلة. لأن الطاغية رغم قوته العسكرية المتماسكة، لم يعد يملك، مفاتيح الحل السياسي-العسكري في سوريا، ولن يكون قادراً على ذلك في المستقبل. فالمستقبل للشعب وليس للطغاة، هكذا يُحدثنا التاريخ.

والحل السياسي الحقيقي لن يبدأ إلا بعد أن يميل ميزان القوى العسكري لصالح المعارضة العسكرية على الأرض. وهذا لن يتم إلا عبر توحيد جهود المعارضة السياسية، وأن تعمل بالتوازي مع الجيش الحر، من أجل ردم الهوة بينهما، ودعم الجيش الحر، من أجل ترجيح ميزان القوى على الأرض لصالح الثورة.

جنيف الطرق المسدودة

مرهف دويدري

في خطوةٍ لافتة و مفاجئة، رفع المجلس الوطني السوري توصيةً للائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، لمطالبة الجامعة العربية بإنهاء مهمة المبعوث العربي والأممي المشترك لسوريا «الأخضر الإبراهيمي» على خليفة تصريحاته حول دعوة إيران إلى مؤتمر جنيف ٢، التي وصفها بالطبيعية والضرورية لإنهاء الصراع في سوريا، والذي تراجع عن تصريحاتٍ سابقة أن مؤتمر جنيف ليس بالضرورة أن يكون مشروطاً بتنحي الأسد، وأكد أن هذا الموضوع يجب بحثه في مؤتمر جنيف٢، إلا أن جولة الإبراهيمي على دول الإقليم، لم تنقذ مؤتمر جنيف٢ من تأجيلٍ محتوم بسبب الاعتراضات التي تواجه مشاركة إيران في المؤتمر من جهة، ومن جهة ثانية ما تتحدث عنه الدولة الفاعلة من «تراخي المعارضة السورية وتفككها»، مما يجعل جهود التوصل إلى وفد معارضة موحد يدخل باب المستحيلات!

قلق على الطفلة المدللة اسرائيل

لعل إصرار الدول الفاعلة على عقد مؤتمر جنيف٢، غايته إنقاذ الأسد الابن من تداعيات نجاح الثورة، أو ربما إعطاءه مكافأة نهاية الخدمة التي استطاع خلالها أن يقدم كل الولاء والطاعة لهذه الدول على حساب الشعب السوري، الذي لم يتوان الأسد الابن عن ضربه بالسلاح الكيماوي، بالرغم من خطوط أوباما الحمراء، التي لم تستطع تقديم العون للشعب السوري إلا من خلال نزع ترسانة سوريا الكيماوية- التي لم يجرؤ الأسد الابن على الاحتفاظ بها- خوفاً من ضربةٍ أمريكية تقوّض قوته، وتنهي ما يمتلكه من سلاح؛ فجاء نزع الترسانة الكيماوية خوفاً على إسرائيل من أن تقع الأسلحة في اليد الخطأ، على حد وصف الخارجية الأمريكية.

مصالح روسية

تذهب تصريحات «ديميتري ميدفيديف» رئيس وزراء روسيا الاتحادية، ورئيسها السابق: «إن رحيل الرئيس السوري بشار الأسد عن السلطة، كشرطٍ مسبق لعقد مؤتمر جنيف٢ غير مقبول».

هو بتصريحه هذا، يريد إدخال جهود عقد المؤتمر في دوامة، ليحصل على خروجٍ آمن لبشار الأسد، وعدم إحالته للمحكمة الدولية بتهمة ارتكاب جرائم ضد الإنسانية، وبالتالي يريد الحفاظ على النظام من أجهزةٍ أمنية، وقيادات الجيش الموالية لروسيا، ومن قبلها الاتحاد السوفيتي، مما يبقي على المصالح الروسية في سوريا تحت السيطرة الكاملة.

وزاد رفعت في الطنبور نغماً

إن التمسك الشديد للدول الفاعلة بعقد جنيف٢، وعدم السماح بالتفوق العسكري لأحد الطرفين، هو ما يتسبب في هذا التشتت في صفوف المعارضة التي بدأت بالتفكك بشكلٍ واسع، خصوصاً بعد إعلان أشخاص، وتياراتٍ موالية للنظام أوهمت البعض بأنها معارضةٌ وطنية!

و لم تكتفِ بذلك، مما حدا بالأخ الأصغر للأسد الأب «رفعت الأسد»، المتهم بجرائم إبادةٍ جماعية في حماه عام ١٩٨٢ من أجل إنهاء تمردٍ لجماعة الأخوان المسلمين آنذاك، واتهم بتنفيذ إعدامات ميدانية بحق ما يقارب ٤٠ ألف حموي، حسب إحصائيات غير رسمية، نقول مما حدا به للذهاب إلى جنيف للقاء الإبراهيمي، كما فعل معارضون وطنيون- حسب زعمهم- من أمثال هيثم المناع نائب المنسق العام لهيئة التنسيق الوطنية في المهجر، ورندا قسيس رئيسة الحزب العلماني الديموقراطي، وميشيل كيلو عضو الائتلاف الوطني للمعارضة والقوى الثورية، وصالح المسلم رئيس حزب الاتحاد الديموقراطي الكردي، في ظل هذا التفكك العقيم في المعارضة، بدأ النظام معركة استعادة السيطرة على الأراضي التي فقدها خلال الثورة، على أمل الذهاب إلى جنيف٢ منتصراً، ولو حتى إعلامياً فقط!

وأخيراً.. خارطة طريق

إعلان جون كيري عن تحديد موعدٍ قريبٍ جداً لعقد مؤتمر جنيف٢، هو من باب الضغط على طرفي الصراع، إلا أن إعلان هيئة التنسيق الوطنية أنها لن تشارك في مؤتمر جنيف٢ في حال مشاركة قدري جميل رئيس حزب الإرادة السوري، ونائب رئيس مجلس الوزراء السوري، المقال منذ فترة قريبة، ورفعت الأسد، عم الأسد الابن، ورئيس التجمع القومي الديموقراطي الموحد، سواءٌ أكانوا في وفد المعارضة الموحد، أو ضمن وفود المعارضة، ما يزيد في تعقيد الأزمة، وتقليل فرص انعقاد جنيف٢.

إذن، خرجت ترتيبات عقد مؤتمر جنيف٢ من التحايل على الدول الفاعلة ضمن حزمةٍ من الشروط لعقد المؤتمر، إلى تحدٍّ واضح بعدم حضور المؤتمر إلا برحيل الأسد الابن عن الحكم. وهذا ما نوّه إليه «جون كيري» وزير خارجية الولايات المتحدة، عندما قال: (الأسد فاقدٌ للشرعية، ويجب ألا يكون في مستقبل سوريا)، إلا أن روسية تبحث عن مخرج يحقق مصالحها، عبر دعوة أطراف المعارضة السورية إلى اجتماع تشاوري حول مؤتمر جنيف٢، غير أن الائتلاف الوطني لم يلبِّ الدعوة، على اعتبار أن روسية هي من تدعم الأسد الابن في قتل الشعب السوري، من خلال مواقفها الدولية، وسلاحها الذي يصل تباعاً إلى سوريا.

لعل خارطة الطريق التي يحاول المجتمع الدولي بثّ الروح فيها عبر التسويق لمؤتمر جنيف٢، ترغيباً في حين بحلٍّ سلمي ينهي الحرب الدائرة في سوريا، والتي أتت على الأخضر واليابس، وترهيباً في أحيانٍ أخرى، تخويفاً من صومالة الأزمة السورية، والدخول في نفقٍ مظلم ربما يبقي الأسد إلى ٢٠٢١، و بين هذا وذاك، ما تزال الحرب تحصد أرواح آلاف السوريين.

جنيف مرة ومرات

عقاب يحيى

يتحلق كثير حول جنيف، مخرجاً، وأملاً وحيداً، هناك من يخيط النتائج على هواه، ومن يعلّق الآمال المنقذة لوطنٍ يتعرّض لكل المخاطر، وفقاً لتصوراتٍ تختلط فيها الرغبات بالوقائع، وهناك من يعارض من خلفياتٍ معينة ولأسباب مختلفة، والنتيجة: دوشة، وكلام يومي، وتوقعات، ومتابعات، بما يستدعي من جديد، وجديد، تسليط الضوء على بعض المفاصل.

السوريون والحل السياسي

لا أعتقد أن سورياً وطنياً معارضاً قديماً كان، أم جديداً، أم ثائراً، يرفض أي حل يوفّر مزيد الدماء، ويوقف الدمار، واحتمالات خطيرة تشير إليها عديد الوقائع والتوقعات المنذرة، وأساسها، إبقاء الجرح السوري نازفاً طويلاً، لمزيدٍ من السنوات والخراب والتقطيع، بما في ذلك القابلية للتحول إلى حربٍ أهلية/مذهبية في جوهرها، وإقامة كانتونات على أكثر من عمادٍ وأساس.

وافقت الكتلة الوطنية الديمقراطية السورية على الحلول السياسية، وأوضحنا موقفنا منها، وساهمت بفاعليةٍ في اللجنة التحضيرية لمؤتمر القاهرة، وفي صياغة وثيقة العهد، ومحور شرط الحل السياسي، المتمثل بتنحية الأسد، وكبار رموز النظام وتحويل المتورطين بالقتل إلى المحاكم، وواصلت جهدها المتواضع على هذا الطريق، مدركةً أن تأمين هذا الشرط، هو حصيلة تفاعل العامل الداخلي بالدولي، وأن العامل الداخلي هو الأساس، وهو الذي يقوم على شرط التوازن بين العسكري والسياسي.

شروط أم بلا

تكثر اليوم الدعوات لإلغاء هذا الشرط، بالنظر إلى «استحالة» تحقيقه على الأرض، أو بسبب الموقف الدولي الغامض، والملتبس، والمناور في هذا المجال، إضافةً إلى وجود تنظيرات تؤكد على انتعاش النظام، واستلامه زمام المبادرة في أكثر من مجال، وبالتالي عدم إمكانية الاقتراب من هذا الشرط.

كأن المطلوب هو الذهاب دون شروطٍ مسبقة، كما تقول وتطرح هيئة التنسيق، والارتكاز إلى «إرادة» المجتمع الدولي على العموم، والدولتين الكبريين، على وجه الخصوص، وعلى ما جاء في بنود جنيف ١، الخاصة بتشكيل جسمٍ انتقالي مطلق الصلاحيات، ووضع الرهانات على ذلك، لتأمين الانتقال إلى وضعٍ ديمقراطي، وإسقاط النظام.

هنا مربط الفرس، وهنا تكمن مستويات المراهنة، ومدى واقعيتها، إن كان لجهة قابلية نظام الطغمة على القبول، أو الانصياع لتسليم رقبته وهو عارفٌ بذلك مسبقاً، أو لقدراته على تجويف وتمييع أي رهان بما يملك من قوى، وأجهزةٍ أمنية، وخبراتٍ خبيثة، وتحالفاتٍ عضوية قوية، أو لجهة مدى استعداد المجتمع الدولي، وآلياته بالعملية لمنح ذلك الجسم تلك الصلاحيات، وكيف سيكون ذلك؟؟ وبأية وسائل؟؟ ومتى؟؟ وأين موقع النظام، أو «بقاياه» من هذه العملية؟، وأية بقايا هي يا ترى التي ستكون شريكة المرحلة الانتقالية؟؟ وعديد الأسئلة الكبيرة، والواقعية، التي تبرز متغوّلة، ومخيفة .

اجتماع للمعارضة السورية في استنبول

بنظرة جديدة

ضمن عملية التسويق، أو القناعة والإقناع، توضع اللوحة السورية بشقين، أولهما، لوحة العمل العسكري ضد داعش وأخواتها، والتشدد وإمارته القادمة التي ستفرض شكلاً استبدادياً، قد يكون أشد شراسةً من الاستبداد الحالي، وثانيهما، التسليم بحقيقة أن الوضع السوري خرج من أيدي السوريين، وأنه صار مدولاً، وإقليمياً، وعالميا، ونحن مجرد بيادق، أو أدوات، أو مأمورين بما يراه المجتمع الدولي.

الحقيقة أن هذه المقولة بشقيها يجري تداولها منذ عامين تقريبا، وكأنها صارت الارتكاز للحل السياسي، أكثر منها إقرار حقيقة، والتسليم بها كقدرٍ لا فكاك منه، ولا مجال للبحث عن محاولة استرجاع القرار السوري الوطني، أو أجزاءٍ منه، ليكون من يمثل سورية يحتمي به، بالحدود الدنيا.

معارضة نائمة

هنا يقال الكثير عن التقصير، وعن دور المعارضة، وإخفاقها، وطبيعة وهوية انشغالاتها، وتركها الساحة للغير، وتفرجها، واكتفائها بنضال البيانات والإدانات والتخويف والنذير، دون أن تضع في حسابها، أو في برامجها مشروعاً ممكناً لمبادرة، أو للإمساك بالقرار الوطني، أو الربط مع الأرض، أو التأثير في المجريات الميدانية.

نسأل أكثر المتفائلين بجنيف، وأكثر المتحمسين له خياراً وحيداً، وكنت قد توجهت بهذا السؤال لعددٍ من قيادات المعارضة قبل أكثر من عام ونصف: ماذا أنتم فاعلون إذا لم يعقد جنيف؟؟ وماذا لو عقد ولم يحقق الهدف الرئيس الذي تدعون، أو تتأملون؟ وماذا لو عقد وفشل؟؟ وماذا لو صار وتحول لمسلسلٍ طويل؟ وأسئلةٌ مماثلة تبحث عن إجاباتٍ مسؤولةٍ وليست تبريرية أو هروبية.

جوهر الثورة

هناك من يعتقد أنه إن لم ينجح، أو يُعقد جنيف ٢ سيكون جنيف ٣ و ٤. أي لا خيار سوى جنيفات، وهناك من يصمت، وهناك من يملؤك بالخوف من الكوارث القادمة التي ستنزل بالبلد، وقليلٌ من هؤلاء طرح بديلاً اسمه: الاعتماد على الذات، أو البحث الجدي، الواقعي، العملي الممكن عن وسائل بديلة، أو خارطة طريقٍ لبلادنا، عبر تنمية العامل الذاتي، وإقامة معادلةٍ حقيقية يمكن أن نمسك فيها بمصير بلادنا، وأن تعود الثورة بثقلها لجوهر أهدافها .

من هنا أيضاً فإن الدعوة المكررة، لعقد مؤتمرٍ وطنيٍّ جامع يضمّ قوى المعارضة السياسية، والحراك الثوري، والعسكري، قد تكون المدخل والمخرج، بما يتهيّأ له من عوامل النجاح، لوضع خريطة طريق عمليةٍ لواقعنا، ومستقبل البلاد، وتوفير مقومات الانتصار، أو فرضٍ للحدود الدنيا من الحلول السياسية على النظام والمجتمع الدولي.

تنويم مغناطيسي

تكثر المؤشرات التي تدل على أن جنيف قد لا يعقد إلا بعد منتصف العام القادم، ارتباطاً بصفقة الكيماوي، وحاجتهم لجهةٍ رسميةٍ تفي بالتعهدات التي وردت، بما يعني أن أي جنيف إذا ما عقد، لن يكون سوى حالة انتظارية، أو تسكينية، وبما يطرح على جميع السوريين المؤمنين بالثورة التفكير الجدي بالبدائل، بما فيها مقومات الحل السياسي القابل للنجاح، والمحقق للهدف الذي انطلقت الثورة لأجله.

جدلية الإرهاب والحرية في سوريا

محمد زهير كردية

من مظاهرات مدينة حلب ٢٠١٣ – عدسة حلب نيوز

كان «البو عزيزي» شعلةً لتفجير الثورة التونسية، وإنهاء حكم «زين العابدين بن علي» المستبد والجائر. رغم وصول الإسلاميين إلى السلطة، إلا أن تونس نالت الاستقلال فعلاً، ولم تشهد قيام جماعاتٍ متطرفة كتلك التي شهدناها في بلدانٍ أخرى، واقتصرت هذه الجماعات على اغتيال المعارض اليساري «شكري بلعيد»، والمعارض «محمد البراهمي»، وبعض الأعمال البسيطة آنفة الذكر. أيضاً شهدنا «حركة كفاية» التي دعت إلى اعتصامٍ في ميدان التحرير، وكان الاعتصام هو الشعلة في تفجير الثورة المصرية، وإسقاط نظام «محمد الحسني مبارك» ووصول الإخوان المسلمين إلى السلطة، إلا أننا لم نشهد أيضاً نشوء حركاتٍ جهاديةٍ أو متطرفة، رغم استمرار المصريين بالتظاهرات والاعتصامات المناهضة لحكم الأخوان المسلمين، إلى أن تم اسقاط حكم الأخوان وتنحية «محمد مرسي»، الرئيس المنتخب بواسطة صناديق الاقتراع. عندها بدأنا نشهد بعض المشاهد والحوادث، التي تقوم بها مجموعاتٌ سلفيةٌ وإسلامية متطرفة بالتحالف مع الإخوان المسلمين.

لكن كل تلك الأحداث، ورغم انتصارات الشعبين التونسي والمصري على حكم الاستبداد، ورغم نشوء بعض حالات التطرف الاسلامي والطائفي، إلا أنها لا تقارن البتة بما حدث ويحدث في سوريا. سوريا التي تفجّرت ثورتها في ١٥ آذار ٢٠١١، هذا اليوم الذي نُقش في عقول وقلوب الملايين من البشر، لأنه كان تحدياً لأكبر وأعظم ترسانةٍ مخابراتيةٍ قمعية على الأقل في الشرق الأوسط، وفعلاً، ما لبث هذا التحدي الديمقراطي السلمي أن امتد الى غالبية الأراضي السورية، مما اضطر النظام أن يستخدم في قمعه لهذه الثورة السّلمية، كافة أجهزة المخابرات، وتشكيلات الجيش النظامي، الذي من المفترض أن يكون لحماية الشعب لا لقتله. ترتبت على ذلك القمع عاصفةٌ من الانشقاقات على مستوياتٍ متعددة، وكانت عقوبة الانشقاق هي الإعدام، ولكن بعد تعذيب المنشق وقتله مئات المرات قبل تنفيذ الحكم. هذا ما اضطر المنشقين إلى حماية أنفسهم من الوقوع في قبضة أجهزة النظام، فمنهم من غادر سوريا إلى دول الجوار، أو دولٍ أخرى وهم قلائل، والقسم الأكبر أبى إلا أن يبقى في الداخل السوري، فكان خياره أن يقوم بتشكيل جيشٍ يقاتل النظام، ويقوم بحماية المدنيين. عندها، بدأنا نشهد تشكيلاتٍ وكتائب عديدة وكثيرة تقاوم النظام، وتقوم بتحرير مدنٍ وقرى، ومع الزمن بدأت تسيطر على مطاراتٍ وقطع عسكرية تابعة للنظام وتكبده خسائر ليست بالقليلة. لكن تفوق النظام بالعتاد والسلاح ودعم حلفائه له بالمال والسلاح والمقاتلين، كان عائقاً أمام تقدم قوى الثورة العسكرية أكثر من ذلك وساعد بإطالة عمره أكثر مما يجب أو مما كان متوقعاً.

هنا اضطرت قوى الثورة إلى طلب الدعم الخارجي، إن كان بالمال أو بالسلاح أو بالغذاء، أو حتى بالتدخل العسكري، أو بإنشاء منطقةٍ عازلة، أو بالحظر الجوي لطائرات النظام، لكن الخارج لم يلبّ مطالبهم كما يجب، فاقتصر على تزويدهم ببعض الأسلحة العادية التي تحافظ على تكافؤ المعركة بين الطرفين، وأيضاً بعض المساعدات المالية والطبية والغذائية. عندها بدأنا نشهد ولادة سرطانٍ يحمل جيناتٍ متعددة المصدر، عربية وأجنبية، شرقية وغربية، وتم تطوير هذه الجينات لتكون امتداداً لموروثات الحقد والتطرف والفكر العقائدي، ولتكون مُكملةً لمشروعٍ سياسي قذر. لقد تم تلقيح سوريا بهذه الجينات لنشهد ولادة هذا السرطان الإرهابي الديني المتطرف. خُلق هذا المولود وفي يده مفتاحٌ ذهبي، وهذا المفتاح عائدٌ لخزينة العالم المكتظة بالتطرف والفكر الجهادي، والمليئة بأنواع الأسلحة والمال، وبالتالي القوّة والسلطة والتنظيم، وبدأ هذا المخلوق ينتشر في مدنٍ ومناطق عديدة، متسلقاً على أكتاف السوريين الذين انفجروا ضد الظلم والطغيان والاستبداد، وعلى بطولات وانجازات الثوار المسلحين، وقد تسترّ تحت عدة مسميات، متسلحة بالقرآن والرايات السوداء، منها جبهة النصرة ولواء أحرار الشام وكتائب أنصار السُنة، إلى أن استشرى أكثر فقام بإنشاء ما يسمى «محكمة الهيئة الشرعية» في مدينة حلب، «وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» في ريف ادلب، وبعض المرجعيات لمن يسمون أنفسهم أمراء إسلاميين في أماكن أخرى، وتقوم هذه الهيئات بمحاكمة السوريين موالين أو معارضين بأحكامٍ منسوبةٍ إلى القرآن والشريعة الإسلامية، والتي لم يسمع بها مسلمٌ سوريٌّ من قبل.

مثلا، منذ أسابيع اعتقل الناشط «زيد محمد» من قبل الهيئة الشرعية في حلب فقط لأنه قال: «أنا لا أريد دولةً أسلامية، أنا أريد دولةً علمانية». وأيضاً منذ شهرين تقريباً طلب «الأب باولو» مقابلة أحد أمراء دولة الإسلام في مدينة الرقة، فذهب ولم يعد حتى الآن دون أية معلومةٍ أو خبرٍ عنه، سوى بعض الشائعات والأخبار غير الموثوقة، والزميل «زياد حمصي» الذي اختطفوه بالقرب من مدينة الرقة لأن عدسته أرهبتهم. ولا ننسى أيضاً اغتيال بعض القادة الشرفاء والوطنيين من قبل هؤلاء الظلاميين ك «أبو فرات» و»أبو بصير اللاذقاني» و»ياسر العبود» وغيرهم كثيرون.

لم يتوقف الأمر عند هذا الانتشار فقط، بل نشهد اليوم قيام مجموعةٍ جديدة تطلق على نفسها اسم «داعش»، أي «دولة الإسلام في العراق والشام» وتقوم أيضاً بملاحقة السوريين واعتقالهم لمحاكمتهم بأحكام القرآن والشريعة الاسلامية.

لم يسبق لإرهابٍ أن تحول إلى رديفٍ للديمقراطية والحرية، وعنواناً لثورةٍ على الاستبداد تبحث عن النصر والعيش المشترك بين جميع مكونات المجتمع السوري. الإرهاب في تونس ومصر لازال هامشياً حتى الآن، ويقوم بالتطفل على حركات التحرر والتوجهات الثورية، وبعض الشخصيات الثقافية، ولكنه لا يفلح في أغلبه. لقد بقي ذلك الشاذ بين غالبية الأسوياء. أما ما تقوم به اليوم هذه المجموعات في سوريا فهو إرهابٌ حقيقي، والإرهابيون هم فاعلون حقيقيون على الأرض، إن كان من جهة إرهاب النظام وحلفائه، أو من جهة إرهاب ذلك السرطان المتطرف ومسمياته المتعددة. أما الذين خَطوا خُطى السلمية والديمقراطية أو من بقوا على الحياد، فمصيرهم هو بين ناريين بالفكر والعقائد والسياسة، تُكملان بعضهما البعض، النظام والتطرف الإسلامي. أمام هؤلاء خياران، إما تعرية وفضح هذا الإرهاب، أو التعايش معه، وبذلك يكون مصيرهم مجهولاً.

سوريا- المعتقلون السياسيون، تعذيب حتى الموت

استغلال المحاكم العسكرية ومحاكم مكافحة الإرهاب لمعاقبة المعارضة السلمية

«مع تواصل القتال الوحشي المروّع في سوريا، يستمر النظام بانتهاك حقوق المعتقلين السياسيين، الذين يجري اعتقالهم وتعذيبهم، حتى الموت في حالات كثيرة، جراء انتقادهم الحكومة سلمياً، ومساعدة المحتاجين. وليس ذلك بغريب على المخابرات السورية، حيث أن الاحتجاز التعسفي والتعذيب من المهام التي اعتادت عليها، وضاعفتها مع انطلاق الثورة السورية الثورة.»

جو ستورك، القائم بأعمال المدير التنفيذي لقسم الشرق الأوسط وشمال أفريقي

قالت منظمة هيومن رايتس ووتش: إن الحكومة السورية تقوم دون وجه حق باحتجاز الآلاف من المعتقلين السياسيين، على خلفية نشاطهم السلمي، وقد بدأت المنظمة حملةً تستهدف إلقاء الضوء على مصيرهم، حيث امتد احتجاز الكثيرين منهم لفتراتٍ طويلة وتعرضوا للتعذيب.

تتولى حملة هيومن رايتس ووتش الإلكترونية، «داخل الثقب الأسود السوري»، سرد القصص الخاصة بـ٢١ سورياً احتجزتهم الحكومة منذ بداية الانتفاضة السورية في ٢٠١١، بسبب محاولتهم ممارسة حقهم الطبيعي في التعبير، والتجمع السلمي، أو توفير الرعاية الطبية لأشخاص أصيبوا أثناء الاحتجاجات، والمأوى لأشخاص نزحوا بفعل النزاع.

وتطالب الحملة الحكومة بإسقاط التهم الموجهة إلى المحتجزين السياسيين، الذين قدمتهم إلى المحاكم الميدانية العسكرية، ومحاكم مكافحة الإرهاب المقامة في يوليو/تموز ٢٠١٢.

اعتقالات تعسفية

يوفر لجوء الحكومة إلى التعذيب بشكلٍ ممنهج دليلاً قوياً على سياسة حكومية، من شأنها أن تُعدَّ جريمة ضد الإنسانية، بحسب هيومن رايتس ووتش، يتعين على المجتمع الدولي التأكيد على أن الحكومة السورية، والمسؤولين عن الانتهاكات سيواجهون العدالة في النهاية جزاءً على أفعالهم.

وفي انتهاكٍ صارخ لحقوق الإنسان، اعتقلت القوات النظامية السورية بشكلٍ تعسفيّ العاملين في المستشفيات، الذين ساهموا بإسعاف المتظاهرين الجرحى، ورجال أعمالٍ كانوا يجمعون التبرعات لشراء أغطيةٍ للنازحين، ومطوّري برمجيات نادوا بحرية التعبير على الإنترنت. وقامت بعذيبهم حتى الموت أحياناً.

تحبس السلطات المعتقلين السياسيين لشهورٍ دون توجيه اتهامات إليهم، وتعذبهم وتسيء معاملتهم وتمنعهم من التواصل مع محاميهم أو عائلاتهم، فتترك ذويهم في حالةٍ من القلق دون معرفة مصيرهم.

في إحدى الحالات اعتقلت المخابرات الجوية عامل البناء يحيى شوربجي، الذي يبلغ عمره ٣٤ سنة، المعروف في داريا بريف دمشق باسم /أبو الورد/، لأنه كان يوزع الزهور على المتظاهرين في الأيام الأولى للانتفاضة، ورفض مسؤولو الحكومة منح عائلة شوربجي أية معلومات عنه أو عن أخيه محمد، منذ اعتقالهما مع ثلاثة نشطاء آخرين، ضمن مجموعة تسمى شباب داريا في سبتمبر/أيلول ٢٠١١. توفي واحدٌ من الخمسة تحت التعذيب، هو غياث مطر، أثناء الاحتجاز في غضون أيامٍ من اعتقاله.

محاكم غير قانونية

في يوليو/تموز ٢٠١٢ تبنت سوريا قانوناً فضفاضاً لمكافحة الإرهاب، يجرّم كافة أنشطة المعارضة السلمية تقريباً، واستغلت الحكومة محكمة مكافحة الإرهاب حديثة الإنشاء، والمحاكم الميدانية العسكرية الأقدم، لاستهداف النشطاء، ومعاقبة المعارضة السلمية.

تحرم هاتان المحكمتان المتهمين من الحقوق الأساسية في المحاكمة العادلة، تحت ستار المحافظة على الأمن أو مكافحة المعارضة المسلحة، لكن المزاعم تتعلق في الواقع، بتوزيع المعونات الإنسانية، والمشاركة في مظاهراتٍ سلمية، وتوثيق انتهاكات حقوق الإنسان.

درويش وخرطبيل

في الثاني من أكتوبر/تشرين الأول، استؤنفت محاكمة مازن درويش وأربعة من زملائه في المركز السوري للإعلام وحرية التعبير، أمام محكمة مكافحة الإرهاب بتهمة «الترويج لأعمال إرهابية»، وتشير لائحة الاتهام ضدهم، التي اطلعت عليها هيومن رايتس ووتش، أن التهم تستند إلى أنشطةٍ من قبيل رصد الأخبار المنشورة إلكترونياً، وإذاعة أسماء الموتى والمختفين.

أثناء إجراءات المحاكمة الصورية يوم ٢ أكتوبر/تشرين الأول، قام القاضي الذي يترأس الجلسة بتأجيل المحاكمة للمرة الرابعة على التوالي، متذرعاً بتأخر قوات الأمن في الرد على استعلامات المحكمة.

امتد حبس درويش واثنين من زملائه، هما حسين غرير وهاني الزيتاني، منذ فبراير/شباط ٢٠١٢، وقال محتجزون سابقون احتجزوا مع الرجال الثلاثة: إن السلطات عرضتهم للتعذيب وأشكالٍ أخرى من إساءة المعاملة، كما تم توجيه التهم ذاتها لزميلين آخرين لهم، لكن تم الإفراج عنهما على ذمة المحاكمة.

قضية باسل خرطبيل قدمت أيضا إلى محكمة

الإرهاب، وهو سوري من أبوين فلسطينيين، اعتقل في ١٥ مارس/آذار ٢٠١٢ في دمشق، بتهمة تأسيس منظمة غير مرخصة قانونياً، أسماها خرطبيل وهو مهندس حاسباتٍ آلية، «المشاع الإبداعي في سوريا»، وهي منظمة لا تهدف للربح، كانت تساعد الناس على التشارك القانوني في الأعمال الفنية وغيرها، باستخدام أدواتٍ مجانية. قال أحد أقارب خرطبيل لـ هيومن رايتس ووتش: «لم تتغير حياتي فحسب بعد اعتقال باسل، بل تجمدت في الزمن».

لم يزوّد المسؤولون عائلة خرطبيل بأية معلومات عن مكان احتجازه أو أسبابه حتى ٢٤ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٢، عندما نقلوه من سجن صيدنايا العسكري، حيث تم تعذيبه، إلى سجن عدرا المركزي بدمشق، وتجري محاكمته أمام محكمة ميدانية عسكرية.

وسائل تعذيب مبتكرة

قال محتجزون سابقون لـ هيومن رايتس ووتش: إن مسؤولي الأمن عذبوهم بإرغامهم على اتخاذ أوضاع مجهدة، وبالانتهاك الجنسي، بما في ذلك الاغتصاب، والصدمات الكهربائية على الأعضاء التناسلية، والضرب بالعصي والأسلاك والقضبان المعدنية، ووصفوا أساليب وأدوات خاصة بالتعذيب غير معروفة، مثل الشبح وبساط الريح والدولاب، يستخدمها الحراس والمحققون السوريون في مراكز اعتقال في كل أرجاء البلاد، وبحسب مركز توثيق الانتهاكات، وهو مجموعة رصد سورية، تأكدت وفاة ما يقرب من ١٢٠٠ شخص أثناء الاحتجاز.

سبق لـ هيومن رايتس ووتش توثيق مواقع ٢٧ مقراً للاعتقال في أرجاء سوريا، قامت فيها قوات الأمن بتعذيب مدنيين، وحدد التقرير الجهات المسؤولة عن تلك المقار، وأسماء قادتها في حالاتٍ كثيرة.

قالت هيومن رايتس ووتش: أنه إضافة إلى الإفراج عن كافة المعتقلين دون وجه حق، يتعين على الحكومة السورية أن تتيح لمراقبي الاحتجاز الدوليين المعترف بهم، الوصول الفوري دون عوائق إلى كافة مقرات الاحتجاز الرسمية وغير الرسمية، ويجب أن يضم الفريق أشخاصاً من مكتب الأخضر الإبراهيمي، المبعوث الخاص المشترك للأمم المتحدة وجامعة الدول العربية، ومن لجنة الأمم المتحدة لتقصي الحقائق في سوريا.

دور المجتمع الدولي

«كما يتعين على الحكومات المعنية، أن تضغط على السلطات السورية للإفراج عن المعتقلين السياسيين، والسماح للمراقبين بالوصول إلى مقرات الاحتجاز، وعلمها استغلال القنوات الدبلوماسية، والجزاءات محددة الهدف ضد الأشخاص المتورطين بمزاعم ذات مصداقية في انتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان» كما قالت هيومن رايتس ووتش.

ينبغي للحكومات المعنية أيضاً، أن تدعم قيام مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، بإحالة الوضع في سوريا إلى المحكمة الجنائية الدولية، للتحقيق مع أولئك الذين يتحملون أعظم المسؤولية عن الانتهاكات، وملاحقتهم قانونياً.

المعارضة المسلحة أيضا

وتشير حملة منظمة هيومن رايتس ووتش، إلى قيام بعض جماعات المعارضة المسلحة باحتجاز بعض الأشخاص تعسفياً، وبينهم صحفيون وعمال إغاثة إنسانية ونشطاء. وفي بعض الحالات قامت جماعات المعارضة بإعدام محتجزين، وتطالبها بالإفراج عن كافة الأشخاص المحتجزين تعسفياً في عهدتها، ومعاملة كافة المحتجزين بما يتفق مع المعايير الدولية لحقوق الإنسان.

وقال جو ستورك: «يجب على كافة الحكومات، ولا سيما الدول الأعضاء في مجلس الأمن، أن تضع محنة آلاف المعتقلين السياسيين على رأس جدول أعمالها في النقاشات الدبلوماسية، وينبغي لمن يمتلك نفوذاً لدى الحكومة السورية، وقوات المعارضة، أن يضغط عليهما للإفراج عن جميع من المحتجزين دون وجه حق.»

•المصدر: الموقع الالكتروني للهيومن رايتس ووتش:
http://www.hrw.org/ar/news
٠٣/١٠/٢٠١٣

عسكرحرامية

أعطني جندياً يتقن التحية

العقيد منصور العقابي
*ضابط منشق

لماذا لم تحصل انشقاقات في الجيش النظامي على مستوى الفرق والألوية والكتائب؟ سؤالٌ دأبت أبواق النظام على ترديده والتبجح به.

في علوم الاستراتيجيات العسكرية لهيكلية الجيوش التنظيميه وتركيبتها، نرى أنه لم يكن لدينا جيشٌ «نظامي» بالمعنى الحقيقي للجيوش. فالجيش تحكمه أنظمةٌ وقوانين، ويخضع عناصره لتراتبيةٍ عسكريةٍ صارمة. يقول نابليون بونابرت (أعطني جندياً يتقن التحيه لأقاتل به العالم) وهذا لم يكن موجوداً في حقيقة الأمر في جيشنا النظامي، بل كان شكلياً من حيث المظهر والتطبيق، بمعنىً أدق وبالمفهوم العسكري الدقيق مايسمى الجيش النظامي السوري لم يكن سوى ميليشيات مسلحة تحكمها الولاءات والمحسوبيات، وتلعب الطائفية دوراً مهماً في تركيبته التنظيمية، والأهم هو السيطرة الأمنية الكاملة عليه، والتحكّم بكل تفاصيله التنظيمية، واعتمادها في إسناد المناصب والمسؤليات القيادية على الولاء المطلق للنظام؛ بغض النظر عن الكفاءات والإمكانيات العسكرية والعلمية، وتشديد قبضتها على كافة الضباط والأفراد، مما أدى إلى انعدام الثقة بين القيادات والضباط والأفراد، ونمو الحالة الفردية بشكلٍ ملفت، وانعدام التراتبية العسكرية، بحيث تجد أن مساعداً أورقيباً مدعوماً أمنياً، له تأثيرٌ أكبر من أي ضابطٍ في موقع القيادة على القطعة أو الثكنة بشكلٍ كامل. يضاف إلى ذلك سياسة إفساد النفوس المنهجة، وذلك بجعل الضباط والعناصر بعوزٍ وفقرٍ وحاجة، وترك باب المكاسب والمغانم والنهب مفتوحاً على مصراعيه، هذا كله أدى إلى ضعف الشعور بالانتماء الوطني ونمو الأنا البغيضة والخوف الدائم من العصى الأمنية الغليظة، وتكريس سياسة فرّق تسد، وهذا ما أراده النظام للحفاظ على كرسيّ الحكم، ونجح في تحقيقه ومع الأسف على حساب المصلحه الوطنيه العليا.

جدلية العسكرة والتنمية - الاقتصاد السوري أنموذجاً

د.عبد الله الفراتي

حلقة ٢

كنا قد تحدثنا في الحلقة الماضية عن مفهوم اقتصاد الحرب والعسكرة على نحو عام، أما عن هذا الجزء فنخصصه للحديث بشكلٍ مركّزٍ أكثر عن مراحل عسكرة الاقتصاد السوري، وكيفية تطويع الاقتصاد السوري عبر عقودٍ أربعة من الزمن الأسود، انتهت بالاقتصاد إلى ما هو عليه الآن.

يكفي أن نعلم بدايةً أن بلدنا الحبيب يحتلّ المرتبة الستين عالمياً في الإنفاق الحربي، وقد أنفق _حسب إحصائية أخذت في العام٢٠٠٧_ ما يقارب ال٨٥٨ مليون دولار أمريكي على التسليح وحده، فأين ذهب كل ذلك ومن أين بدأت القصة؟

وفقاً لتقسيم أحد الباحثين في التاريخ العسكري السوري؛ فإن بدايات العسكرة تعود إلى فترة الستينات من القرن الماضي، وقد مرت بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى(١٩٦٣-١٩٧٠): وتبدأ من بداية استلام البعث لزمام السلطة إثر انقلاب ٨ آذار١٩٦٣، حيث بدأ انتقال الاقتصاد السوري من النهج الاقتصادي الرأسمالي إلى النهج الاشتراكي، وظهر ذلك جلياً في سياسات التأميم وخنق القطاع الخاص كماً ونوعاً، وتقليص دوره تحت ذريعة التأميم، فامتدت يد البعث إلى الأراضي الخاصة فالمعامل والمنشآت وصولاً إلى العقارات، وتذكر بعض الإحصائيات أن مساحة الأراضي الخاصة المرويّة انخفضت من ٨٠٠ إلى ١٥٠ دونماً، وتقلصت المساحة الإجمالية المروية من ٥٣٣ ألف هكتار سنة ١٩٦٥ إلى ٤٥٠ ألف هكتار حتى سنة ١٩٧٠ حين ابتدأت المرحلة الثانية.

المرحلة الثانية (١٩٧١-١٩٨٦): وقد بدأت هذه المرحلة من حيث انتهت المرحلة الأولى، وهي كسابقتها، ابتدأت بانقلابٍ آخر هو ما اصطلح عليه بالحركة التصحيحية، وقد انتهجت نمطاً فلسفياً مغايراً في الاشتراكية، يرتكز على تكوين طبقةٍ ثالثةٍ تكون بين السلطة والشعب، وتتمتع بسلطةٍ قويةٍ يكون قوامها من أبناء الأسر الفقيرة والعائلات الريفية، مستوعبة بذلكَ الآلاف من الفوائض البشرية، ومحدثة تغييراً جوهرياً في بنية ونمط الاقتصاد البرجوازي السمات، ومحدثةً تحولاً جذرياً في النسيج الاجتماعي داخل المجتمع السوري.

وتذكر بعض الوثائق والإحصائيات أنه بحلول عقد الثمانينيات من القرن الماضي بلغ تعداد كوادر حزب البعث بين المؤسسات المدنية والعسكرية نحو ١،٣ مليون شخص، وهو رقمٌ مخيفٌ يجعل من السهولة بمكان تفسير انفصال الشعب عن السلطة بوجود تلك الطبقة الكتيمة من المتنفذين والمتحكمين في السياسات الاقتصادية والعامة في مختلف مفاصل الحكم، ويعطي تفسيراً أوضح لزيادة تدفق الريفيين من أبناء القرى للالتحاق بالجيش والمخابرات، سعياً للمكانة والتنفذ والإثراء السريع، في مقابل انحسار واضح للكفاءات العلمية، وبذلك وُجد نمطٌ اقتصاديٌّ هجين، يجمع بين القطاعين الخاص والعام، فتحولت الوزارات والمؤسسات العامة إلى شركاتٍ خاصة من نوعٍ خاص، تحمل في عنوانها شعارات وعناوين القطاع العام، وتعمل من جهةٍ أخرى لحسابٍ شخصي لمسؤول ذلك القطاع، أو من يرتبط معه من رموز السلطة، وبذلك تحول القطاع العام بأكمله إلى شركةٍ خاصةٍ كبيرة، يستهم في إدارتها رموز النظام والمدراء والمتنفذون ويعمل ويشقى فيها الشعب بكل مكوناته.

المرحلة الثالثة (١٩٨٧-٢٠٠٠): وقد بدأت هذه المرحلة بسلسلةٍ من الاختناقات الاقتصادية طالت المواد الغذائية والمستوردات والأدوية وغيرها، وأدخلت الاقتصاد في دوامةٍ من التضخم المفرط، انخفض فيها سعر صرف الليرة أمام الدولار من (١/ ٦) إلى (١/ ٤٦) حتى سنة ٢٠٠٠،التي ابتدأت بانقلابٍ من نوعٍ آخر، وإنتاج لجمهورية ذات نظام حكمٍ هجينٍ لم يسبق له مثيل في التاريخ المعاصر، وكان لزاماً للخطاب والنهج الجديد الذي شرع في حكم سوريا من إحداث مجموعةٍ من التغييرات الشكلية إيحاءً منه ببدء عصرٍ جديد، وفكرٍ جديد يعالج ما أفسده سلفه، ويبشر بسوريا جديدة سعيدة، غير أن ذلك لم ينعكس سوى ضياعاً مفرطاً في الهوية الاقتصادية، وتخبطاً جلياً في طبيعة الاقتصاد واتجاهاته، وأفضت إلى مزيدٍ من التعقيدات ومزيدٍ من الفساد، وهذه المرة أصبح وجود الدولة العميقة في سوريا أمراً لا يكاد يخفى على أحد، بل إنه ظهر للعلن في غير مرة، ورغم كل ذلك لم تزدد العسكرتارية إلا تعمقاً في الاقتصاد السوري، ووصلت قيمة إنفاقه في العام ٢٠٠٧ إلى ما يقارب ال ٨٥٠ ملياراً في ظل وقوع نصف الشعب السوري تحت خط الفقر.

مصرف سورية المركزي في دمشق

والشاهد في ذلك؛ ما أذهلني في مقالٍ قرأته نقلاً عن ضباطٍ منشقين يذكرون فيه أن ملفاً بالغاً في الفساد يحيط بأكبر رموز الجيش السوري، وهو قائمٌ منذ زمن، لم يتم الحديث عنه تحت مبرر الأمن القومي وأسرار الدولة، وكلنا يعلم عن «أرتال» المعلمين الوهميين من أبناء الطائفة العلوية الذين يقبضون رواتب من الوزارة منذ أمد، ولا يعلم أحدٌ كيف عُينوا وأين درسوا ومتى؟ لكن أن يكون ذلك في الجيش فذاك من عجب الحديث وأغربه، إذ يذكر المصدر أن هنالك فرقاً عسكريةً وهميةً في الجيش تقبض ويُنفق عليها بالملايين والمليارات، وهي ليست سوى حبراً على ورق، وهو ما أكدته الثورة السورية منذ اندلاعها، يعيدني ذلك إلى المصطلح الشعبي الدارج: (التفييش) «أي أن يدفع المجند لضابطه مبلغاً من المال ويقضي الخدمة الإلزامية في البيت»، الكل كان يعلم هذا ويسكت عنه، لا بأس، أما أن تكون هناك فرقةٌ مقاتلةٌ ثم لا تكون، فتلك هي الطامة القومية بحق، يؤكد المصدر أن أحداث الثورة السورية أكدت هذه النظرية خلال العامين الماضيين، بل أنها نكشفت عن أن عتاد الجيش السوري الفعلي لا يتجاوز الـ ٢٠٪ مما هو على الورق أي أقل بـ ٨٠٪ مما هو فعلاً، وحسب الإحصائيات الورقية المفترضة، يجب أن يكون بحوزة الجيش ما لا يقل عن ٦٠٠٠ عربةٍ عسكريةٍ بين مدرعةٍ

ومصفحةٍ ودبابة، ولديه ما يقارب الـ ٥٠٠ طائرةً حربيةً من مختلف الطرازات، وكذلك ما لا يقل عن ١٢٠٠ صاروخ سكود جاهز للإطلاق، غير أن المضحك والمبكي في ذات الوقت أن الجيش الحر لم يستطع وخلال العامين الماضيين من الثورة، بل وحتى الآن من أن يدمر ذلك العدد أبداً بل وحتى نصفه، والمتتبع للتطورات الميدانية ووقائع الأرض يجد أن طائرات النظام الصالحة للقتال لم يعد يتجاوز عددها الـ ١٠٠ طائرة من مختلف الطرازات، وعرباته العسكرية بمختلف أنواعها لا يتجاوز تعدادها الـ ٥٠٠ عربة، أما صواريخ السكود فإن معظم ما استخدم منها لا يصل رقمياً إلى ٤٠٪ مما هو متعاقد عليه في صفقات السلاح الرسمية، فأين ذهب كل ذلك؟

وتستمر العسكرة..

هذه المرة من نوعٍ آخر فبين التأكيد والنفي من وجهاء النظام الاقتصاديين من جهة، ومن خبرائه العتاة من جهة أخرى، يعلو الحديث عن طباعة العملة أو ما يعرف اقتصادياً بالإصدار النقدي الجديد، في الواقع هو يشبه من الناحية العلاجية الكي بالنار في العرف الطبي –وهو آخر الدواء كما نعلم–، إلا أنه هذه المرة كان أول الدواء وأسرعه، فإن كان إحراق البلد بالميغ والسكود مكلفاً نسبياً، فليس أسهل من حرقها نقدياً بآلاف الأطنان من الورق المطبوع من غير رصيد، هو كيٌّ بالنار من نوعٍ آخر طال المريض والصحيح ولم يبقي من الاقتصاد شيئاً ولم يذر.

لندع ذلك جانباً ولنتحدث بلغة الأرقام، ففي بداية الثورة السورية في عام ٢٠١١ كانت موازنة الدولة ما يقارب الـ ٨٠٠ مليار ليرة، وهي رقمٌ كبيرٌ وغير مسبوق في تاريخ الموازنة العامة للدولة على الإطلاق، ولكي نوفي الحديث حقه لا بد أن نشير إلى أن الإصدار النقدي الجديد _أي طباعة العملة_ إذا ما تناسب مع نمو الناتج المحلي للبلد في فترةٍ ما، فإن ذلك سيكون مدعاةً لتحفيز الاستثمار ودافعاً للنمو، وهو الشماعة التي علّق عليها أنصار هذا الإجراء الاقتصادي مبرراتهم في تأييده، لكن ذلك لم يحدث أبداً، فمجرد النظر إلى موازنة العام الحالي أي عام ٢٠١٣ تشير إلى ١٣٨٣ مليار ليرة سورية، وهو رقمٌ قياسيٌّ آخر لم يسبق أن تخطيناه يوماً، وفي الواقع فإنه من طبيعة الموازنات أن تزداد من عامٍ لآخر بشكلٍ طبيعي، مراعاة لتوسع النفقات وزيادة السكان، حسناً إذن، فلنسقط كل ذلك على سوريا، يكفي أن نعلم أن إيرادات الدولة لم تتجاوز في العام الحالي الـ ٦٥٠ مليار ليرة، نتيجة خروج المناطق المحررة من إيرادات النظام، إذن وبالأرقام المعلنة يحتاج إلى ٧٣٣ مليار ليرة إضافية كي تتم تغطية الموازنة، فمن أين أتت؟ ومعظم التقارير تشير أن الاحتياطي

جندي في جيش النظام يعرقل حركة السير – خاص حنطة

النقدي لم يعد يتجاوز الـ ٤ مليارات دولار بعد أن كانت بحدود ١٨ ملياراً مع بداية الثورة؟!

إذن هي أطنانٌ وأطنان من الورق غير المغطى، التي تؤكد مصادر من داخل المركزي نفسه أنها تحمل أرقاماً لطبعة هام ١٩٩٧ القديمة بذات أرقام تسلسلها، وللأسف فغير «أصحاب الكار» من المصرفيين والعاملين في المجال المصرفي لا يستطيعون التمييز بين الطبعات الحديثة، بل يذهب بعضهم إلى التفريق بين الطبعة الروسية والصينية!

ورغم ذلك استمر النظام في تمويل حملته العسكرية والأمنية من تلك الإصدارات النقدية المتتالية، وتقدّر رواتب جنوده وشبيحته وفق بعض المصادر بنحو الـ ٣٠٠ مليار ليرة سورية وبالتالي تحولت طباعة العملة من أداةٍ لتحفيز النمو، إلى قطارٍ سريع يُدخل الاقتصاد بسرعة البرق في نفق الركود التضخمي، «وهو حالةٌ يشهد فيها الاقتصاد ضعفاً في النشاط الاقتصادي وارتفاعاً في الأسعار»، ومع كل هذه المعطيات سنحتاج إلى عقودٍ من الزمن للخروج من كارثة طباعة العملة وحدها.

ويستمر الإنفاق العسكري، ويستمر في استنزاف البقية الباقية من القطع الأجنبي، الذي يشكل الرمق الأخير للاقتصاد السوري.

يشير تقريرٌ لمركز بحوث السياسات السوري، أن الإنفاق العسكري السوري وصل نسبةً تقارب الـ ٧ ٪ من الناتج المحلي الإجمالي للبلاد أي حوالي الـ ٣،٥ مليار دولار، وبرغم ما يبدو عليه الرقم من ضآلةٍ إلا أنه مؤشرٌ يؤخذ بعين الاعتبار لنظامٍ دأب على العسكرتارية في مختلف مراحل حكمه، بعجزٍ واضح للاقتصاد السوري.

ويجد المتتبع للموازنات العامة في سوريا ومنذ بداية الثورة في العام ٢٠١١ أن استراتيجية الإصدار النقدي الجديد والطباعة المفرطة من غير رصيد ليست وليدة اللحظة أو العام، فليس من المنطق بمكان لنظام أحرق ويحرق الأخضر واليابس في طول البلاد وعرضها أن يعنى بما يؤول إليه اقتصاد البلد وكم من الممكن أن يحتمل، وقد تتالى كسر الأرقام القياسية للموازنات منذ بداية الثورة وتدريجياً، حيث بلغت موازنة العام ٢٠١٢ رقماً قياسياً بـ ١٣٢٦ مليار ليرة سورية مقابل ٨٣٥ مليار ليرة سورية لعام ٢٠١١ بزيادة تصل إلى ٤٩١ مليار ليرة، وصولاً لموازنة عام ٢٠١٣ بـ ١٣٨٣ مليار ليرة، وليس الأغرب ببعيد مع العام ٢٠١٤..

يتبع..

منظمة الأمم المتحدة لرعاية الطفولة (اليونيسيف)

داخل المدينة الجنوبية السورية (درعا)

ترجمة سامي شيخ أيوب

أطفال سوريا توحّدوا من أجل الأطفال

أطفال يدرسون اللغة الإنكليزيّة خلال فترة للتعليم العلاجي في مدرسة مدعومة من قبل اليونيسيف في مدينة درعا

كنتُ جزءً من فريق اليونيسيف الذي اشترك مع خمسة منظماتٍ أخرى تابعةٍ للأمم المتحدة في مهمّة التقييم الإنسانيّة الأخيرة للجنوب السوري، كان الهدف هو تقييم الوضع في مدينة درعا، وإيصال اللوازم الطارئة، وإيجاد منظمات شريكة في هذا المجال.

تمّ توصيل اللوازم الأساسيّة إلى المنظمة الشريكة (الهلال الأحمر السوري) بهدف توزيعها على العائلات المتضررة من النزاع الجاري، مساهمة اليونيسيف هذه تضمنت ١٠٠٠ صندوقٍ من الحلويات العالية الطاقة لأجل ٥٠٠٠ طفل، وحقيبتين طبيتين لعلاج الإسهال، كل واحدةٍ تكفي لعلاج ٦٠٠ حالة.

تعتبر درعا مدينةً ومحافظةً في نفس الوقت، وهي الجزء الأخير من الأراضي السوريّة في الجنوب على الحدود مع الأردن، تبعد المدينة بضعة كيلومتراتٍ فقط عن الحدود، وتعدّ المركز الزراعي في المنطقة.

الكثير من الأطفال وعائلاتهم تمّ إجلاؤهم عن منازلهم، كما أثّر النزاع المستمر على قدرة المنظمات الإنسانية على الوصول إلى المنطقة لتوفير المساعدات الطارئة.

ما يقارب ٧٢٠٠٠ عائلة متضمنةً العديد من الأطفال من أصل التعداد السكاني لدرعا الذي يقدّر ب١,٢ مليون نسمة، هجروا من منازلهم إلى مناطق أخرى في المدينة، أو إلى المناطق الريفيّة النائية.

ما يقارب ٤٥٠٠ عائلةً تعيش في الملاجئ، كالمدارس والمباني العامة الأخرى والأماكن غير المكتملة البناء، والتي لم يتم تصميمها لاستقبال هذه الأعداد الكبيرة من الناس، الملاجئ مزدحمةٌ بشكلٍ كبير وتعاني من نقصٍ كبيرٍ في اللوازم الأساسيّة كالماء والحمّامات. لقد قمت بزيارةٍ لأحد هذه الملاجئ حيث يقع ضمن مدرسةٍ من ثلاثة طوابق، والتي لا تزال قيد البناء، ما يقارب ٣٥ عائلةً تعيش في قاعات التدريس التي لا يوجد فيها موارد مناسبة للكهرباء والماء، ويوجد القليل من الفرش فقط. الحمامات ودورات المياه وأماكن التنظيف كلّها في غرفةٍ واحدة، تستخدم من قبل قاطني البناء جميعاً.

على أيّة حال فإن معظم العائلات النازحة يتم استضافتها، أحياناً بمشاركة عائلة أخرى في السكن أو السكن عند بعض الأصدقاء.

على الرغم من رؤيتي لعلاماتٍ من الحياة الطبيعيّة نوعاً ما في الشوارع، مع وجود أناسٍ يجوبون الساحات والأرجاء، لكنّه كان من النادر رؤية العربات ووسائل النقل بسبب شحّ الوقود. كما يمكن رؤية القمامة مكدّسةً في العديد من المناطق، كما أن العديد من الأعمال توقفت. يوجد انقطاعٌ مستمرٌ للتيار الكهربائي، لكنّ نظام تمديدات المياه لا يزال يعمل. إنّ قلّة موارد الوقود ينعكس سلباً على إنتاج الغذاء، الذي يظهر بأنّه هبط بمعدّل ثلاثة أضعاف مقارنةً بالوضع منذ سنتين، كما تعاني المخابز المحليّة من قلّة الوقود والطحين في نفس الوقت.

يوجد حاجةٌ كبيرة للعناية الصحيّة والأدوية وخاصّةً للأطفال، الخدمات الصحيّة المحليّة تأثرت بشدّة جرّاء النزاع القائم. على سبيل المثال: يقع المستشفى الرئيسي على الخطوط الأمامية للمعارك وليس له تأثيرٌ كبير. ثلاثةٌ من أصل سبع مستشفياتٍ متواجدةٍ في المحافظة خارج الخدمة، والعيادات الصحيّة المحليّة تتحمّل كل الضغط. وما يقارب ١٥٠٠ طبيب — يتواجد ثلثهم تقريباً في المحافظة— غادروا البلاد تاركين نقصاً كبيراً في الكادر الصحّي المدرَّب.

تدعم اليونيسيف ما يقارب ال١٠٠ نادٍ مدرسي في مدينة درعا والمناطق التابعة لها. الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين السابعة والخامسة عشرة هم الغالبية العظمى من الذين نزحوا عن منازلهم، يأخذون الآن تعليماً مستمراً بالإضافة إلى الأنشطة الخلاقة والتفاعليّة. يتلقى الأطفال أيضاً دعماً نفسيّا اجتماعيّاً. النوادي المدرسيّة هي أحد الأماكن القلّة المتوفرة ليلعب الأطفال فيها مع بعضهم البعض. لقد اندهشت بشدّة لحماسة هؤلاء الأطفال، الكثير منهم قالوا لي بأنه لولا وجود هذه النوادي في المدارس لكنّا محتجزين في المنزل مع القليل لنفعله.

اليونيسيف بالإضافة لمنظماتٍ أخرى تابعةٍ للأمم المتحدة وبعض الشركاء لمتابعة توصيل الدعم الأكثر احتياجاً لدرعا، وذلك حسب الظرف الأمني، لكنّ الاحتياجات كبيرة. تتطلب اليونيسيف ما يقارب ١,٦ مليون دولار لدعم المساعدات الإنسانية في سوريا حتّى نهاية ٢٠١٣.

وجوه أطفال سوريا

«لا أعلم لماذا على الناس أن يتحاربوا كثيراً. الكثيرين قتلوا، الكثيرين منّا أصبحوا مشرّدين. لقد رأيت الكثير من الاشتباكات والإنفجارات في سوريا. على الأقل في المخيم أشعر بالأمان، لقد خسرت الكثير من أصدقائي لكنّني أتعرف لأصدقاء جدد بسرعة. قبعتي؟ أرتديها بالطريقة الصحيحة عندما أكون في الشمس، أرتديها بالطريقة المقلوبة في أثناء الدروس كي لا تحجب عنّي الرؤية، وأنا أحبّها بهذه الطريقة.»آلاء ابنة التاسعة التي تدرس الصف الثالث في مدرسة تابعة لليونيسيف في مخيم الزعتري للّاجئين.

« لا يوجد ماء، وبالكاد أستطيع إيجاد طعامٍ لتناوله، لكن لا شيء سيمنعني من الابتسام. يجب على جميع أطفال سوريا الذين من عمري وحتى الأصغر أن يتحلّوا بالصبر ليكونوا قادرين على تخطي المصاعب. وشيءٌ أخير: التعلم هو شيء مهم جدّاً لكنّ الاحترام يأتي في البداية.» طفل في العاشرة من عمره في لبنان.

الانطباعات الأولى لأحد العاملين في المساعدات في أربيل

بقلم كريس نيلز

أربيل، العراق– حكاية أربيل طويلة تعود فيها الحياة الحضريّة ل٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد، ممّا يصنّفها بين أقدم المدن المأهولة على الأرض. حُكمت من قبل الميديّين والفرس والإغريق والرومان والعثمانيين وهذه القائمة تطول. الجزء الأخير من حكاية هذه المدينة يُكتب الآن بوجود هذه الأزمة في جوارها (الأزمة السوريّة). إقليم كردستان العراقي التي تعد أربيل عاصمته، يتشارك بعض حدوده مع سوريا. يوجد جسر عبر أحد روافد نهر دجلة في منطقة تدعى (سحالة). عندما فُتحت الحدود منذ شهر تقريباً، تدفّق إلى الداخل ما يقارب ال٦٠٠٠٠ لاجئ سوري. يعبر كل يوم ما بين ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ سوري. يوجد الآن ما يقارب ال٢٠٠,٠٠٠ سوري في العراق ونحن نهيّئ أنفسنا لارتفاع العدد إلى ٥٠٠,٠٠٠ بحلول نهاية العام.

الحكومة الكرديّة خصّصت ٢٠٪ من ميزانيّتها من أجل هذه الأزمة، وقد طلبت هذا الأسبوع من شركات النفط تقديم ما يقرب ٥٠ مليون دولار. أموال النفط تملأ مدينة أربيل. في الجزء الغنيّ من المدينة، البيوت كبيرةٌ ومتطورة، كما يمكنك أن تجد في الشوارع السريعة أشكالاً حديثة جداً من السيارات، المحال التجاريّة والأسواق الكبيرة مملوءة بالبضائع الغالية الثمن. يأتي العراقيون إلى هنا أيام العطل لأنّه مكانٌ آمن. أمّا السوريين فيأتون إلى هنا لأنه ليس لديهم من خيار آخر. من المستحيل أن تهيّئ نفسك ذهنيّاً لزيارتك الأولى لمخيم لاجئين. أمّا بالنسبة لمن لم يكن عليه العيش في أحد هذه المخيمات فلا يوجد مجالٌ للمقارنة بين الاثنين.

ومحاولة فهم حجم العذاب الذي تكبّده هؤلاء الناس يعدّ مهيناً نوعاً ما بالنسبة لهم. نعم إنّها مرتفعة الحرارة ومغبرّة بشكلٍ لا يحتمل لكنّني أستطيع العودة إلى مستودعات الأمم المتحدة وآخذ حماماً. أنا لم أخسر كل ما أملك، لا يزال باستطاعتي العودة إلى المنزل.

فعندما تخطو في مخيّم للّاجئين تشعر بأنك محتالٌ أو سائح حتّى. تتساءل بماذا يفكر الناس عندما ينظرون إليك. كان دليلي لمخيّم (كاورجوسك) الذي يقع غربيّ أربيل هو المنسق الطارئ لليونيسيف خورخي كارافوتا.

لقد دخلنا إلى خيمة حيث كان يتمدّد طفلان على كومة الفراش، بدت الفتاة كأنها في غيبوبة، كانت عيناها مغلقتان وفمها مفتوح، وكانت أطراف الولد ترتجف دون توقف ووجود أمّه بجانبه لتهدئته كان بديهيّاً.

كان الطفلان في التاسعة والعاشرة من العمر لكنّهما بدوا أصغر من ذلك بكثير، لأنّه وبالإضافة لإعاقتهما لم يكونا يحصلان على تغذيةٍ جيّدة. خورخي، الذي يعمل أيضاً كطبيب، دخل في الحالة الطبيّة وبدأ بتفحّص حالة الطفلين. وصف الوالدان كيف أصيب طفليهما بما يعتقد خورخي أنّه مرض الصرع. لقد عرضت الأم علينا صوراً للطفلين عندما كانا رضّعاً. الفرق بين الحالتين واضحٌ جدّاً، فهما يظهران في الصور بصحّة جيّدة جدّاً، أمّا الآن فهما مصابان بأعراض الهزال الذي قد يسبب أزمةً قلبية فقط عند رفع الرأس.

دعم من أجل الأطفال السوريين الذين جاؤوا إلى الزعتري وحيدين

أحمد هو الاسم المستعار، في الثانية عشرة من عمره في مخيّم الزعتري للّاجئين السوريين في الأردن. هو واحدٌ من أكثر من ١٠٠٠ طفل غير مصحوبين، أو منفصلين عن أهلهم، تمّ التعريف بهم وتسجيلهم في المخيّم منذ افتتاحه في تموز ٢٠١٢.

بقلم ميلاني شاربي

مخيّم الزعتري للّاجئين، الأردن– في أحد مراكز حماية الأطفال السوريين الذين يأتون إلى مخيّم الزعتري للّاجئين بأنفسهم، أحمد البالغ من العمر اثني عشر عاماً يبتسم ويدلّك عينيه المتورّمتين.

يقول بأن عينيه كانتا تزعجانه منذ زمن بسبب العمل الذي كان يقوم به سابقاً. يقول أحمد: «لكنّهم يقدّمون لي الدواء هنا، ستصبح عيناي في حالٍ أفضل»

منذ أسبوعين ، كان أحمد يسير في أرجاء المخيّم وحيداً. هذا المخيّم الذي يعتبر المنزل الوحيد لما يزيد عن ١٢٠,٠٠٠ شخص، والذي يعتبر ثاني أكبر مخيمات اللّاجئين في العالم.

سأل أحمد الناس الواحد تلو الآخر عن المكان الذي يمكنه فيه حضور مساحات صداقات الشباب، وهي مساحاتٌ آمنةٌ طوّرتها اليونيسيف في المخيّم حيث يمكن لليافعين التعلم، واللعب وتلقّي الدعم النفسي.

في النهاية وجد طريقه إلى أحد هذه الأماكن. عمّال الدعم النفسي أحضروه إلى مركز اليونيسيف المتخصص في الحماية للأطفال الغير مصحوبين أو المنفصلين عن ذويهم، والذي تتم إدارته من قبل الهيئة العالميّة للإنقاذ. منذ افتتاح الزعتري في تموز ٢٠١٢، ما يزيد عن ١٠٠٠ طفل منفصلين أو غير مصحوبين بذويهم تمّ التعرّف عليهم في الأردن، والغالبيّة العظمى في المخيّم.

الأصل من درعا في سوريا

ترك أحمد المدرسة بعد إنهاء المراحل الأولى منها ليعمل مع والده. يقول أحمد: «لقد جئت إلى هنا لأن منزلنا كان يهتزّ أربع أو خمس مرات كل يوم بسبب الانفجارات.» يشرح أحمد بأنّ والديه أحضروه إلى إربد، مدينة في شمال الأردن، كي يبقى عند جدّته، ومن ثمّ عاد والداه إلى سوريا. يقول: «أبي وأمي هما أهم شيء بالنسبة لي أفهم ما كانت تقوله لكنني لم أكن بحاجة لذلك فمعاناتها كانت محفورةً على وجهها.

قال الوالدان بأنّ طبيبهم في سوريا أشار إليهم بحصر حمية الطفلين على الماء والبسكويت الخفيف، والذي يعد السبب في وصولهما إلى حالة الضعف هذه. كان مرفقي الولد الصغير أعرض جزءٍ في يده. وعد خورخي بعمل كل ما يستطيع لأجلهم. في اليوم الآخر قال لي بأننا سنعود إلى المخيم هذا الأسبوع لإيصال فول سوداني ملصوق القشور للأطفال، ولتدريب عمال الصحة على كيفية القيام بواجباتهم العلاجيّة. هو يأمل أن يصبح الأطفال قادرين على التعافي من حالاتهم الصحيّة واسترجاع صحتهم الغذائيّة.

لم أعمل على الأرض منذ وقتٍ طويل، لكنني متأثر بشدّة بسبب القصص التي أسمعها من زملائي الآخرين مثل خورخي، وقد استمعت لبعض هذه القصص من أصحابها. أجل، اليونيسيف توفر ملايين الليرات من الماء، آلاف الأطنان من الموارد الطبيّة والتعليميّة والمدرسيّة، لكنّ هذه هي الصورة الواسعة، ففي صورةٍ أضيق، والتي تعد مهمّة جدّاً نجد أن مساعدة والدين على تطبيب أطفالهم، وإعادتهم إلى حالتهم الصحيّة قد لا يبدو فعلاً له أثرٌ بالمقارنة بالوضع المروّع والمنتشر بشدّة من العذاب والمعاناة في هذا الإقليم، لكنّه أمرٌ مهم فيما إذا أردنا أن نتذكّر سبب قيامنا بمثل هذا العمل.

يقول خورخي: «مبدئي هو الرحمة، ومن دون شك العمل يبدو فارغاً، والنتائج هي في أقل النسب الممكنة» يقول ذلك بكثيرٍ من الخجل.

منسق الطوارئ لدى اليونيسيف (خورخي كارافوتي) يلعب بالكرات الزجاجيّة مع الأطفال في مخيّم كاورجوسكشي للّاجئين في شمال العراق.

اللّاجئين بحسب الأعداد	
لبنان	٧٦٣,٠٠٠
الأردن	٥٢٥,٠٠٠
تركيا	٤٩٥,٠٠٠
العراق	١٩٢,٠٠٠
مصر	١٢٧,٠٠٠
شمال أفريقيا	١٤,٠٠٠
المجموع	٢,١١٦,٠٠٠

(تظهر دراسات اليونيسيف بأنّ ٥٠٪ من هؤلاء اللّاجئين هم أطفال.)

هذه الأرقام هي أرقام تقريبيّة.

لي.» لا يقول أحمد عن سبب تركه لجدّته، لكنّه بطريقةٍ ما قطع مسافة ٧٠ كيلومتراً بالحافلة من إربد إلى مخيّم الزعتري وحيداً. يقول الولد بأنّ هوايتيه المفضلتين هما السباحة ولعب الكرة.

الآن يخضع أحمد للعناية المستمرة من عمّال الدعم النفسي، إذ يحضر في ساحات أنشطة الشبان ويستعد للعودة إلى المدرسة هذا الشهر.

يقول أحمد: «أنا متشوّق للعودة إلى المدرسة، أريد مستقبلاً جيّداً، أريد أن أصبح معلّماً أو طبيباً أو مهندساً يوماً ما.»

الأردن

في مخيّم الأزرق، الماء والصرف الصحي والنظافة كلّها جاهزة من أجل استقبال ٢٤,٠٠٠ لاجئ سوري.
تعليم مناسب وحماية للأطفال ورعاية لموارد الصحة والتغذية لما يزيد عن ٥٠,٠٠٠ هي على وشك الانتهاء.

لبنان

حتّى الآن في هذه السنة ما يقارب ٥٠,٠٠٠ طفل تلقّوا المساعدة الطبيّة من قبل مجموعات متحرّكة في خيم تابعة لليونيسيف.

سوريا

اليونيسيف أوصلت هيبوكلوريدات الصوديوم (التي تستخدم في تنقية المياه) للمتابعة في عملية توفير المياه النقيّة لـ٦ مليون شخص في دمشق وريفها وطرطوس.

تركيا

يوجد حملة في طريقها لتوزيع ٨٠,٠٠٠ زوج من الأحذية للأطفال.
حتّى الآن أكثر من ٤٠,٠٠٠ طفل في ١١ مخيم تلقّوا أحذيةً جديدة.

العراق

أكثر من ٣٠,٠٠٠ طفل ويافع من التدفقات الأخيرة تمّ تلقيحهم ضد مرض الحصبة و١٣,٠٠٠ طفل ما بين ٦-٥٩ شهر تلقّوا مكمّلات الفيتامين A.

الحماية على مدار الساعة

يوجد أسباب متعددّة لترك الأطفال لبلدهم وحيدين. بعض المخاوف من التجنيد الإجباري ضمن الجماعات المسلّحة، أو اعتقالهم بسبب وجود أحد أفراد عائلتهم يقاتل ضد النظام.

بعض الأطفال يريدون الهروب من العنف المستمر، وكانوا قد أبعدوا قسراً عن عائلاتهم، أو أنّ أقاربهم قد ماتوا.

من الأرشيف البصري لبصمة سوريا

إضاءات حول قوانين ومراسيم تعسفية بحق الكرد في سوريا

ولات احمه

عانى الكرد في سوريا مختلف صنوف الاضطهاد والقمع، وفق سبلٍ وطرق ممنهجة من قبل السلطات السورية، عبر جملةٍ من القوانين والمراسيم المنافية لروح الدستور والعهود والمواثيق الدولية، لتتناول تلك الإجراءات الصادرة الشعب الكردي على وجه الخصوص دون غيرهم من الطيف السوري، متزامناً مع آلة الاعتقال والقتل العمد، لتكون صوراً جليةً لدفع الكردي نحو دول الشتات باحثاً عن الأمن والانتماء.

الإحصاء الاستثنائي لعام ١٩٦٢

تُعرف الجنسية في القانون الدولي الخاص، بأنها تلك الرابطة القانونية والسياسية القائمة بين الفرد والدولة، بحيث يصبح بموجبها أحد سكانها، لم يشفع هذا التعريف لمجموعةٍ من المواطنين الكرد في سوريا، الذين نُزعت عنهم الجنسية السورية التي كانوا يتمتعون بها منذ أمدٍ بعيد، على خلفية الإحصاء الاستثنائي الذي أجري في محافظة الحسكة في ٥ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦٢، بموجب المرسوم التشريعي رقم /٩٣/ تاريخ ٢٣ آب- أغسطس /١٩٦٢.

الإحصاء الذي شمل آنذاك ١٥٠ ألف كردي، صنفهم تحت مسمى «الأجنبي»، وقيدوا بهذه الصفة في السجلات المدنية في المحافظة، والبعض الآخر لم يرد لهم أسماء في سجلات الإحصاء، وتمت تسميتهم «مكتومي القيد»، نُفِّذ الإحصاء بشكلٍ عشوائي دون أي وجه حق، تحت ذريعة «لا بدَّ من تنقية سجلات الأحوال المدنية من جميع الأشخاص الغير السوريين الدخلاء» وفقاً لأسباب المرسوم التشريعي، الذي يتنافى مع الفقرة الأولى من المادة الخامسة عشرة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ١٩٤٨، التي لا تجيز حرمان شخصٍ من جنسيته تعسفاً أو إنكار حقه في تغييرها.

ونتيجةً لهذا الإحصاء الذي جرّد عشرات الآلاف من جنسيتهم، انقسم المواطنون الكرد إلى ثلاث فئات:

الفئة الأولى: مواطنون كرد متمتعين بالجنسية السورية.

الفئة الثانية: مواطنون كرد جردوا من الجنسية وسجلوا في السجلات الرسمية على أنهم «أجانب»، ويتم منحهم بطاقة تعريف حمراء، ولا تجيز لهم هذه البطاقة إمكانية الحصول على جواز سفر، أو المغادرة خارج البلاد، أو النوم في الفنادق.

الفئة الثالثة: مواطنون كرد جُردوا من الجنسية، ولم يتم قيدهم في السجلات الرسمية نهائياً، وأطلق عليهم مكتوم»،لا يملكون أية وثائق رسمية باستثناء شهادة التعريف من المختار، أو سند الإقامة، وبذلك لا يتمتعون بأي حقٍ من حقوق المواطن. ويأتي مسمى «المكتوم» وفق ولدٍ لأبٍ «أجنبي» وأمٍ مواطنة، ولد لأبٍ «أجنبي» وأمٍ «مكتومة».، ولد لأبوين «مكتومين».

المثير للدهشة في الإحصاء الاستثنائي التعسفي، الذي جرى لمدة يومٍ واحد، بأنه شمل البعض دون آخرين من العائلة الواحدة، فأصبح الأب أجنبياً وبقي الابن مواطن، وكذلك شمل الإحصاء أشخاصاً من ذوي المناصب الرفيعة في الدولة، مثل رئيس أركان الجيش السوري في الخمسينيات اللواء «توفيق نظام الدين»، و»عبدالباقي نظام الدين» عضو البرلمان السوري، و»خليل معمو إبراهيم باشا» عضو البرلمان السوري.

كان للإحصاء الاستثنائي ١٩٦٢، الأثر البالغ على شريحةٍ واسعة من المجتمع، من انتزاع الجنسية التي أصبحت بمثابة الحاجز والعبء أمام أي تحركٍ ضمن سوريا، ومنعه من العمل في الدوائر الحكومية، إلى جانب عدم تمتّع تلك الشريحة بحق الانتخاب، والالتحاق بالخدمة الإلزامية، بالإضافة إلى حرمانهم من حق تملّك الأراضي والعقارات، وعدم الاستفادة من الضمان الصحي والبطاقة التموينية، والاستشفاء في المشافي والنقاط الطبية، وصولاً إلى سلك التعليم، حيث لا يحق لمكتومي القيد الحصول على وثائق الشهادة الإعدادية والثانوية، وكانت هذه الأسباب كفيلةً بفتح باب الهجرة أمام الآلاف من المواطنين الكرد نحو دول الشتات، بحثاً عن أبسط القيم الإنسانية، والتمتع بالجنسية التي سُلبت منهم في وطنهم بين ليلةٍ وضحاها.

الحزام العربي

أصدر رئيس الشعبة السياسية بمحافظة الحسكة الملازم أول محمد طلب هلال «وزير الزراعة ١٩٧٠، وزير الصناعة ١٩٧١، سفير سوريا في بولونيا ١٩٧٢- ١٩٧٩» دراسةً عن محافظة الجزيرة من النواحي القومية والاجتماعية والسياسية في ١٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٣، وتأتي الدراسة من ١٥٦ صفحة من الحجم الصغير، قدّم من خلالها عدة توصياتٍ تهدف إلى تذويب وصهر الكرد في بوتقة القومية العربية، ودفعهم نحو الهجرة الداخلية والخارجية، وذلك وفق العديد من السياسات الممنهجة ترمي «إلى إسكان عناصر عربية وقومية في المناطق الكردية على الحدود، فهم حصن المستقبل، ورقابة بنفس الوقت على الأكراد، ريثما يتم تهجيرهم، ونقترح أن تكونَ هذه من ”شَمّر“ لأنهم أولاً من أفقر القبائل في الأرض، وثانياً مضمونين قومياً مئة بالمئة. جعل الشريط الشمالي للجزيرة منطقةً عسكريةً كمنطقة الجبهة، بحيث توضع فيها قطعات عسكرية مهمتها إسكان العرب، وإجلاء الأكراد، وفق ماترسم الدولة من خطة. إنشاء مزارع جماعية للعرب الذين تسكنهم الدولة في الشريط الشمالي، على أن تكون هذه المزارع مدربةً ومسلحةً عسكرياً كالمستعمرات اليهودية على الحدود تماماً».

ولعل أكثر مقترحات هلال عنصريةً هو الحزام العربي، وهومشروعٌ اقرته الحكومة السورية في عام ١٩٦٥، يهدف إلى تفريغ منطقة الجزيرة «محافظة الحسكة»، من سكانها الكرد وتوطين أسرٍ عربيةٍ عوضاً عنهم، يمتد الحزام العربي من الحدود العراقية شرقاً وصولاً إلى مدينة سرى كانيه/ رأس العين غرباً، بطول ٣٥٠ كيلو متر، وعرض ١٠-١٥كيلومتراً، وفقاً للقرار (٥٢١) الصادر عن المؤتمر القطري الخامس الإستثنائي لحزب البعث العربي الاشتراكي السوري، الذي

تم بموجبه توزيع آلاف الهكتارات من أراضي الجزيرة الخصبة المستولى عليها من الكورد، وفق قانون الإصلاح الزراعي لعام ١٩٥٨ على عوائل عربية، جُلبت من محافظة الرقة وحلب، عبر ذريعة غمر أراضيهم بمياه نهر الفرات.

جاء المؤتمر القطري الثالث لحزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا المنعقد في أيلول/ سبتمبر عام ١٩٦٦م، ليؤكد في الفقرة الخامسة من توصياته بخصوص محافظة الحسكة على «إعادة النظر بملكية الأراضي الواقعة على الحدود السورية– التركية وعلى امتداد ٣٥٠ كم وبعمق ١٠–١٥ كم، واعتبارها ملكاً للدولة، وتطبق فيها أنظمة الاستثمار الملائمة بما يحقق أمن الدولة».

انتهزت السلطات السورية فرصة بناء سد الفرات في محافظة الرقة، لتوطين أكثر من أربعة آلاف عائلةٍ عربية «٢٥٠٠٠ألف نسمة» غمرت أراضيهم مياه سد الفرات، ليتم تنفيذ الحزام العربي لعزل الكرد السوريين عن إخوتهم في تركيا والعراق، عبر بناء حزامٍ بشري، في محاولةٍ لإنهاء التواصل، إلى جانب حرمان الكرد من مصادر رزقهم، لتشكيل آلةٍ من الضغط تدفعهم نحو الهجرة القسرية بعيداً عن أماكنهم، والعمل على إجراء تغييرٍ ديموغرافي في المناطق الكردية.

بدأ تنفيذ المشروع في ٢٤ حزيران/ يونيو ١٩٧٤، حيث وصل عدد المستوطنات التي تم إعدادها إلى ٣٩ مستوطنةٍ نموذجية، مدججةٍ بالسلاح، ومزودةٍ بالماء والمدارس والكهرباء وكل المستلزمات الخدمية، فتم إنشاء ١٢ مستوطنة في منطقة ديريك/المالكية – ١٢ في منطقة قامشلو/ القامشلي – ١٥ في منطقة سرى كانيه/رأس العين، وبلغت المساحات المسلمة لهم حوالي ٨٠٠٠٠٠ ألف دونم، استفادت منها حوالي ٤٥٠٠ عائلة عربية، بينما بلغ عدد القرى الكردية التي شملها الحزام ٣٣٥ قرية من أقصى شمال شرق محافظة الحسكة إلى قرب محافظة الرقة غرباً، لتحصل كل عائلةٍ على مساحةٍ تقدر من ١٥٠ إلى ٣٠٠ دونم من أخصب الأراضي الزراعية العائدة للفلاحين الكرد. لقيت فكرة نزع الأراضي من الكرد مقاومةً كبيرةً من قبل أصحاب الأراضي، لكن لجوء السلطات آنذاك إلى استخدام مختلف أشكال القمع والترهيب والاضطهاد حال دون استمرار تلك المقاومة.

المرسوم ٤٩ لعام ٢٠٠٨

المرسوم ٤٩ لعام ٢٠٠٨ الخاص ببيع الأراضي والعقارات، يعتبر من أسوء المراسيم على الإطلاق تجاه الكرد في عموم محافظة الحسكة، حيث يشرعن إخضاع تملّك الأراضي والعقارات إلى جملةٍ من الموافقات الأمنية والوزارية. المرسوم التشريعي رقم ٤٩ لعام ٢٠٠٨، الصادر بتاريخ ١٠ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٨ المشدد لبعض المواد من القانون رقم /٤١/الصادر بتاريخ ٢٦ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٤، ينص «لا يجوز إنشاء أو نقل أو تعديل أو اكتساب أي حق عيني عقاري على عقار كائن في منطقة حدودية، أو إشغاله عن طريق الاستئجار أو الاستثمار، أو بأية طريقةٍ كانت لمدة تزيد على ثلاث سنوات لاسم أو لمنفعة شخص طبيعي أو اعتباري، إلا بترخيص مسبق، سواء كان العقار مبنياً أم غير مبني واقعاً ضمن المخططات التنظيمية أم خارجها».

وبسبب الخصوصية السكانية في محافظة الحسكة ذات الغالبية الكردية المتاخمة للحدود التركية، تم اعتبار محافظة الحسكة بالكامل منطقةً حدودية بخلاف المحافظات الأخرى، بالرغم أن مساحتها تبلغ قرابة ٢٣٥٠٠ كم٢، وأطرافها تبعد عن الحدود الدولية لدول الجوار مسافة ما بين ٢٠٠/٢٥٠ كم تقريباً، وفقاً للمرسوم التشريعي رقم ١٣٦ الصادر بتاريخ ١١ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٤، حيث لا يمكن «إنشاء أو نقل أو تعديل أي حق من الحقوق العينية على الأراضي الكائنة في مناطق الحدود وكذا استئجارها، وتأسيس شركاتٍ أو عقد مقاولاتٍ لاستثمارها زراعياً لمدةٍ تزيد على ثلاث سنوات، وكذلك جميع عقود الشركات أو عقود الاستثمار الزراعي التي تتطلب استحضار مزارعين أو عمال أو خبراء من الأقضية، أو من البلاد الأجنبية، إلا برخصةٍ مسبقة تصدر بقرارٍ عن وزير الداخلية، بناءً على اقتراح وزير الزراعة والإصلاح الزراعي بعد موافقة وزير الدفاع «.

وبذلك يكون مجمل أهالي محافظة الحسكة قد تضرروا من تبعيات المرسوم الذي تم بموجبه حظر بيع أو شراء، أو رهن أو تملك العقارات في المناطق الحدودية من البلاد، مما تسبب في إحداث شللٍ اقتصادي كبير في تلك المناطق، وخاصةً في محافظة الحسكة التي تعتبر بموجب هذا المرسوم منطقة حدودية بكامل حدودها الإدارية، وهكذا يهدف المشروع إلى إخلاء المنطقة من قاطنيها، ودفعهم نحو الهجرة الداخلية والخارجية، بعد تضرر شريحةٍ كبيرة من مواطني المحافظة، من عمال البناء والمهندسين والمحامين وأصحاب العقارات.

خلاصة

لم تتوقف معاناة الكردي أمام هذه المراسيم والإجراءات فحسب، فقد مُورست بحقه من قبل السلطات السورية العديد من السياسات الإقصائية الممنهجة، إلى جانب استخدام القوة المفرطة في أكثر من موضع، جراء نضالٍ تراكمي من قبل الشعب الكردي في سوريا في سبيل حريته وحرية كل السوريين، فقدم آلاف الضحايا والمعتقلين منذ حريق سينما عامودا ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٠، وأول تظاهرةٍ أمام القصر الجمهوري ٢١ آذار ١٩٨٦، وصولاً إلى حريق سجن الحسكة المركزي ٢٤ آذار ١٩٩٣، وانتفاضة ١٢ آذار ٢٠٠٤، ومقتل الشيخ محمد الخزنوي ٢٠٠٥، ومجزرة ليلة نوروز في قامشلو ٢٠٠٨، ومجزرة نوروز الرقة ٢٠١٠.

في مرحلة التحول الديمقراطي التي تمر بها سوريا على خلفية أحداث الثورة السورية آذار/ مارس ٢٠١١، بات من الضروري على كل الأطر الاجتماعية والمدنية والسياسية في المعارضة السورية على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم، التحكم إلى لغة المنطق والحوار والإنصاف، والوقوف بكل جديةٍ أمام ما تعرّض له الشعب الكردي في سوريا، والعمل على إزالة كل التراكمات التي خلفتها السياسات المتبعة من قبل السلطات السورية القائمة آنذاك، إلى جانب جبر الضرر للمواطنين الذين تعرضوا بشكلٍ مباشر لآثار تلك المراسيم والقوانين، عبر مصالحةٍ وطنيةٍ جامعة، تعزز العيش المشترك بين كل المكون السوري، الساعي لبناء سوريا لكل السوريين، سوريا دولة القانون يتساوى فيها المواطنون بالواجبات والحقوق.

معاناة ذوي الاحتياجات الخاصة في المناطق الكردية

نوبار اسماعيل

خاص حنطة

ليس من أملٍ يبزغ في الأفق في أن الحرب الطاحنة ستضع أوزارها في سوريا بعد، فالبشر على هذه البقعة الجغرافية لا زالوا يعانون الويلات من قتلٍ وتدميرٍ ونزوح بمئات الألوف من البشر، مدنٌ باتت شبه مدمرةٍ، وأخرى قتل أهلها، وأخرى لم تعد تصلح للسكن وإن لم تزرها آلة القتل بعد.

قد يكون باستطاعة الإنسان السليم أن يجد مفراً يقي نفسه من القتل أو الجوع أو التشرد على أقل تقدير، ولكن هيهات لذاك الذي ليس بمقدوره الهرب من آلة الحرب أو من أن يكسب ما يسد رمقه، ذاك الذي فرض عليه الله أو القدر أن يلبي له الآخرون جزءاً مما يحتاج.

ليس خافيا على أحد بأنه في كل مجتمعات العالم هنالك شريحة من البشر يحتاجون غيرهم في تأمين احتياجاتهم، يمدون الأيادي للأصحاء كي يساعدوهم في زرع الثقة في نفوسهم ورفع القليل من العبء عن ذويهم، فقط لأنهم ذوي احتياجاتٍ خاصة.

المعوقون أو ذوي الاحتياجات الخاصة يشكلون نسبةً في المجتمع، قد تختلف من بلدٍ إلى آخر تبعاً لمدى الوعي والاهتمام والرعاية الصحية، فبلدانٌ تعمل جاهدةً لإقامة أطر التأهيل والتربية والعلاج لهؤلاء الناس، وفي بلدانٍ أخرى يبقى الشخص المعوق خجلاً من نفسه ومكبوتاً حد الجنون.

المناطق الكردية في سوريا لم تدخلها آلة الحرب بعد، ولكن رغم ذلك فهي تعاني الفقر والجوع، والحرمان من كافة مستلزمات الحياة، قد لا يشكل هذا أمراً بالغ الأهمية لشخصٍ سليم قادرٍ على التكيف مع كافة متطلبات الحياة، ولكن كيف لمعوقٍ أن يتكيّف مع هكذا وضع.

هنا في المنطقة الكردية تتأسس جمعياتٌ تعنى بذوي الاحتياجات الخاصة بحسب ما لديها من إمكانات، لكنها وإن وجدت فهي لا تفي بالغرض نظراً لضعف المساعدات والكوادر والإمكانات وبخاصةٍ المادية منها.

في هذه المنطقة تنشط فقط جمعيتان وهما: «جمعية قامشلو لذوي الاحتياجات الخاصة» ومركزها مدينة قامشلو/القامشلي «وجمعية نوجيان لذوي الاحتياجات الخاصة» ومركزها مدينة عامودا، بالإضافة إلى فريقين يقدمان الدعم النفسي للأشخاص المعاقين، وهما أيضاً ينشطان في مدينة قامشلو/القامشلي.

التقينا بمسؤولي كل جمعيةٍ وفريقٍ على حدا، للتعرف على أنشطتهم، إمكاناتهم، والعوائق التي تقف في طريقهم، كذلك مدى تجاوب المجتمع الدولي والجهات الدولية المعنية معهم. في المركز التابع ل «جمعية قامشلو لذوي الاحتياجات الخاصة» كانت أصوات المعاقين تصدح، صالةٌ وأربعة صفوفٍ وفناءٌ للعب، يجلس إداريو المركز في الصالة الرئيسية والتي هي في الأساس موزع للصفوف. بدأنا اللقاء بالحديث عما اذا تمكنوا من إيجاد إحصائياتٍ وأرقامٍ دقيقة للمعاقين في المدينة، فكان الجواب ضبابياً إلى حدٍ ما.

يقول دجوار أحمد (الإداري في جمعية قامشلو): « في الحقيقة لدينا إحصائيات للمعاقين في قامشلو والبلدات والقرى المجاورة لها، لكننا لسنا متأكدين فيما إذا كانت دقيقةً أم لا، وذلك لأن بعض العوائل رفضت التعامل معنا كجمعية لذوي الاحتياجات الخاصة، وبعضهم باتوا خجلين من أن يعترفوا بأنه يوجد بينهم شخصٌ معاق، نظراً لتخلف الوعي لدى هؤلاء، وعدم تقبلهم للحالة الموجودة بينهم، ومن الحالات التي بحوزتنا من أغلب المناطق الكردية هي: في مدينة قامشلو رصدنا ما يقارب ٣٥٠ حالة من عمر ١-١٢ سنة، و١٢٥ حالة من ١٢-١٨ سنة، و١١٨ حالة من ١٨-٢٤ سنة، وفي منطقة ديريك/المالكية تم رصد ٣٥ حالة إعاقة، في عامودا لدينا ٤٥ حالة، و١٥ حالة في كل من مدينة سري كانيه/رأس العين وجل آغا/الجوادية والدرباسية مجتمعين، ويعتبر شلل الأطفال ومتلازمة داون وصعوبة التعلم من أكثر الحالات انتشاراً بينهم، وهي إعاقاتٌ كاملةٌ نتجت بفعل الوراثة وزواج الأقارب، منها ١٥٠ حالة إعاقية تم تحويلها لتلقي العلاج في إقليم كردستان العراق».

استمارات خاصة

وحصلنا من مركز الجمعية على استمارة خاصة بالمركز وهي استمارة بحث حول الوضع الاجتماعي للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، والتي تحمل: اسم المعاق، وسبب الإعاقة لديه، والوضع الاجتماعي للأبوين، وعدد أفراد الأسرة، وعمل الأب، وعمل الأم، ودخل الأسرة، ومكان الإقامة، ونوع السكن، وملكية السكن، وموارد أخرى للدخل.

وفي الصدد ذاته تقول فيان ابراهيم (معلمة للأطفال المعاقين في جمعية نوجيان-عامودا): رصدنا ما يقارب ال٢٥٠ حالة إعاقية في مدينة عامودا، وهي متنوعةٌ ما بين صمٍ وبكم وإعاقات حركية وإعاقات ذهنية، ومتلازمة داون وحالات نفسية بشكل قليل (الإعاقة الحركية ٨٦ حالة — السمعية البصرية ٣٠ حالة — متلازمة داون ٢١ حالة — الإعاقات الذهنية ١٨ حالة).

جمعية «شاوشكا» للمرأة ومن خلال فريقها لتقديم الدعم النفسي لذوي الاحتياجات الخاصة، أيضاً أجرت إحصاءً بالأشخاص المعاقين في مدينة قامشلو/القامشلي وضواحيها المجاورة، تضمن الإحصاء الذي تم أرشفته بمئتان واثنان وسبعون حالة إعاقة، اسم الشخص المعاق، وعمره وجنسه ونوع الإعاقة لديه، ومع من يعيش، وعدد المعوقين في الأسرة، وهل هو قادرٌ على العمل أم لا، ومن يساعده في البيت لتأمين احتياجاته اليومية، وتفاصيل أخرى للتواصل بهم.

تمكنت هذه الجمعيات من رصد حالات الإعاقة الأكثر انتشاراً في المنطقة الكردية، والتي تفتقد لأساليب العلاج، نظراً لخطورة العلاج وعدم توفّر كادرٍ طبيّ، وأدويةٍ لازمةٍ لها، وبخاصة في ظل الظروف الراهنة من انعدام الأمن، وقطع طرق التواصل مع الداخل السوري والحصار الدولي الذي تعيشه سورية.

خاصةً وأن المدن الكردية تعاني من نقصٍ في الكوادر الطبية، بسبب موجة الهجرة التي عاشتها هذه المدن، مما أثرت سلباً على ظروف المعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة، فما كان لهذه الجمعيات إلا تأهيل أعضائها وتدريبهم في مجال العناية بالمعوقين.

نتائج طيبة

يقول دجوار أحمد في هذا الأمر: قمنا بتأهيل حالات عديدة، وتوفقنا في علاج حالات عدة، بحيث أصبحوا يرتادون المدارس النظامية اليوم، كونها كانت إعاقاتٍ بسيطة، لكننا نملك حالاتٍ

في غاية الصعوبة، بحاجة عملياتٍ جراحية تكلف الكثير من المال، وليس باستطاعتنا تغطية التكاليف، كعملية زرع الحلزون، لذا غالبا ما نقوم بإرسال هذه الحالات إلى إقليم كردستان العراق لتلقي العلاج، طبعا بحسب الإمكانات.

بينما يتعاون أطباء مدينة عامودا وبشكلٍ تطوعي مع أعضاء جمعية «نوجيان» في معالجة بعض الحالات القابلة للعلاج، ضمن الإمكانات المحدودة، حوله تقول برفين ولي المتطوعة للعمل: «هناك حالات ليس باستطاعتنا تغطية مصاريفها ونفقاتها، عاجزين أمام تقديم الدعم لها وكمثالٍ على ذلك، حالة الشابة سيدار ياسر عثمان التي تحتاج إلى عملية زرع حلزون والتي تكلف أكثر من مليون ونصف المليون ليرة سورية، في حين أن عائلتها تستطيع تأمين ما يقارب ال ٥٠٠ ألف لإجراء العملية، ونحن بدورنا قمنا بتأمين ما يقارب ال١٠٠ ألف بحسب استطاعتنا، علما بأن العملية يجب أن تُجرى قبل عام لأن فرص نجاحها تبقى قليلةً إذا ما تأخرت.

حاجة ماسّة إلى التواصل

تقف هذه الجمعيات عاجزةً أمام علاج حالاتٍ عديدةٍ من الإعاقات، ويقتصر عملها إلى حدٍّ ما في تقديم الدعم النفسي لذوي الاحتياجات الخاصة، فتقول فيان ابراهيم الناشطة في جمعية نوجيان – عامودا: نحاول توعية أهل وأقارب المرضى من خلال التعرّف على تصرفاتهم أثناء الحصص التعليمية والرسم، كذلك نأمل في إقامة ندواتٍ لتوعية وترشيد آباء وأمهات المرضى المعاقين، كما نسعى لتقديم الدعم النفسي لهؤلاء المرضى، ما يدفعهم للتقرب منا والوثوق بنا، أما عملية الحدّ من الإعاقة فهو أمرٌ غايةٌ في الصعوبة، نظراً للحالة التي يعيشها مجتمعنا، لكننا نعمل على توعية الشعب من خلال الندوات واللقاءات المكثفة .

من جانبها تقوم هندرين محمد المشرفة في مركز «جمعية قامشلو» بالتنسيق مع أهالي المعاقين، للتعامل معهم بالطريقة العلاجية ذاتها في وسطه الاجتماعي. وتضيف كولفين مديرة المركز: أقمنا ندوةً توعويةً بهدف الحد من ظاهرة الإعاقة، التي غالبيتها تكون بسبب عامل الوراثة، وزواج الأقارب، وشدّدنا من خلالها على تقيّد الجمهور باللقاحات اللازمة، ونأمل في توزيع منشورات بهذا الخصوص على أهالي المنطقة. ونعمل على توعية الأهل بحالة مرضاهم، من خلال الاجتماع بهم كل أسبوع للتعرف على حالة المريض، كذلك قمنا بتوزيع منشوراتٍ تحت عنوان «أربعون فكرة لزرع الثقة في ابنك»، والتي تتضمن بعض الأفكار التي تساعد الوالدين على إدخال وزرع الثقة في نفوس أبنائهم.

تبقى هذه الجمعيات منغلقةً على نفسها، لعدم توفر فرص التواصل مع منظماتٍ دولية ذات اهتمامٍ بذوي الاحتياجات الخاصة. تقول كولفين الإدارية في جمعية قامشلو: تواصلنا مع المنظمات يكون من خلال الهيئة الكردية العليا، وحاولنا جاهدين في التعاون مع جمعيات لذوي الاحتياجات الخاصة في المنطقة والتي لها علاقات مع منظمات دولية لكن هذا الأمر لم يلقى النور باستثناء أننا تلقينا أدويةً من منظمة أطباء بلا حدود.

فيما تقول فيان محمد بالصدد ذاته: نحن كجمعية «نوجيان» على تواصلٍ مع منظمة «فاو» لتقديم الدعم لجمعيتنا، كذلك نتواصل مع جمعياتٍ أخرى ونتعاون معهم من خلال أشخاصٍ من مدينتنا على معرفة بتلك الجمعيات، فيسعون إلى فتح خطوط التعاون معهم، فمنظمة «فاو» قدمت لنا عشر كراسٍ للمعاقين، كذلك قدمت لنا جمعية «سويس سيريا» دعماً اقتصر على ألعاب الأطفال، وعلاقاتنا معهم جيدةٌ إلى حدٍ ما.

تواجه هذه الجمعيات الكثير من الصعوبات في تأمين دعمها المادي، لتغطية مصاريف أنشطتهم، وتمويل علاج المعاقين الموجودين لديهم، فجمعية «قامشلو» تعتمد على الهيئة الكردية العليا، وبهذا الشأن يوضح دجوار أحمد: أغلب موظفينا يعملون بشكلٍ تطوعي إلى حدٍ ما، وبعضهم برواتب رمزية جداً، حيث أننا نعاني من عدم توفر المادة لصرف رواتب للموظفين، وتأمين المستلزمات للمعاقين، بالإضافة لعدم تفهّم شريحة لا بأس بها من المجتمع لعمل الجمعية.

ولم تتلقى جمعية عامودا وعلى لسان برفين ولي –المتطوعة في جمعية نوجيان– أي دعمٍ من حركةٍ أو حزبٍ سياسي معين، باستثناء أشخاص حزبيين وبصفةٍ شخصية فتقول: «نعتمد في دعمنا المادي على المساعدات الفردية وأطباء المدينة ممن يتعاملون مع الجمعية».

جمعيات رافدة

هنا في مدينة قامشلو تتواجد جمعياتٌ للمرأة كرّست من ضمن الجمعية فرقاً لتقديم الدعم النفسي لذوي الاحتياجات الخاصة. جمعية «روني للمرأة» لديها فريقٌ لتقديم الدعم النفسي للمعاقين وللتواصل معهم، وبخاصةٍ هؤلاء ممن يخجلون من حالتهم الاعاقية؛ والفتيات منهم على وجه الخصوص، تقول روهات قاسمو –مسؤولة الفريق في «جمعية روني»–: كون غالبية المعاقين يعيشون حالةً ماديةً سيئة، لذا نحثّ العائلات والشخصيات الاجتماعية لتقديم الدعم المادي لهم». وتضيف قاسمو: «كنا السبب في انفتاح العديد من الحالات المعاقة على المجتمع، وفي تعاملهم مع الناس، لدرجةٍ أنه أصبحت علاقتهم متينةً بأعضاء الفريق، الأمر الذي لاقى ترحيباً من ذويهم».

فريق «روني» لتقديم الدعم النفسي لذوي الاحتياجات الخاصة تم تشكيله من خلال ورشاتٍ تدريبية، ومن نشاطاته أنه قام بتوزيع الهدايا على الأطفال المعاقين والأصحاء منهم أيضا، خلال الحفلات الترفيهية المختلطة، لتعويد الفئتين على تقبل بعضهم البعض ولزرع المحبة والتآلف فيما بينهما.

تعتقد سلالة عيسى العضوة في فريق «شاوشكا لتقديم الدعم النفسي لذوي الاحتياجات الخاصة» بأن نتائج فظيعةً سيتم التوصل إليها إذا ما تم إجراء إحصائياتٍ دقيقة، وبحث متكامل في المنطقة الكردية من سوريا من قبل مراكز تكون أكثر تخصصاً، وخصصت بالذكر حالات الإعاقة التي تتعرض للانتهاكات من قبل ذويهم بأساليب تعذيبٍ جسدية ونفسية، كربط الشخص المعاق، ومنع انخراطه مع المجتمع الخارجي، الأمر الذي يكرّس حالة الإعاقة لدى صاحبه أو صاحبتها».

وشرحت لنا أسلوب فريق «جمعية شاوشكا في تقديم الدعم النفسي للأطفال المعاقين» بأنه يكون من خلال الحفلات الترفيهية، وعرض المسرحيات، والتواصل مع المنظمات الإغاثية لتوفير مستلزمات المعاقين، فقد ساهم الفريق بتأمين كراسٍ لذوي الإعاقة الحركية لثلاث حالات، وقامت بتوزيع الحليب على الأطفال.

أمنية..أمنيات

هكذا يبقى الإنسان المعاق مهمشاً ليقضي حياته في التأمل والتمني فيما لو كان سليما، في ظلّ عدم توفر أبسط مستلزمات الحياة لديه. فجمعية «نوجيان» تأمل في الحصول على مقرٍ آخر لأطفال الجمعية يكون أكثر اتساعاً واستيعاباً، نظرا لضيق المساحة في مقرهم الحالي كأبسط مثال. وجمعية قامشلو تسعى لتوعية الإنسان لتتفهم أنشطتهم في هذا المجال بالرغم من كل شيء.

صحيح أن احتياجاتهم خاصة لكنهم بشر، يأملون في العيش ويملكون مواهب، يغنون، ويرسمون، ويعزفون، ويمثلون.

لكنهم يندثرون يوما بعد يوم، يفتقدون من ينمّي لهم مواهبهم، يستنجدوننا في قلوبهم ولكن ما من مجيب.

أين نحن من إعلان الأمم المتحدة لحقوق المعاقين؟ فلنرسخ حقوقهم ولنؤكد عليها من خلال إعلان الأمم المتحدة .

عندها سيكون صوت غيتار «محمد برفو» أروع وألحانه أكثر عذوبةً، وستكون لوحات «نوهاد يوسف» وأصدقائه أكثر جمالاً وبراعة.

SOTCHI 2014

Reporters sans frontières | www.rsf.org

سنعودُ إلى حينا

جوان سوز

أتَذكُرينْ سيدتي؟ أتَذكُرينْ كيف استعَرتِ الملابس الشَرعيّة من جيرانكم الحلبية، ملابس فوزيّة والتي لولا لطف الله كنت سأقعُ في حبها من الطابق الرابع أتَذكُرينْ؟ أتَذكُرينْ سيدتي كيف حملتُ حقائبكِ الثقيلة من البيت إلى موقف الباص؟ أتَذكُرينْ كيف وَقَعتِ وبقيَت طفلتكِ سالِمَة، أتَذكُرينْ صديقتكِ الجَميلة كيف نَزَلتِ مِنْ الباص عند آخر مَوقفٍ في الخَط الأول من الاشتباكات قُرب مُلحق مُديرية التَربيَة وهي تتحدثُ بِالهاتِف، وكانَت سَتَنسى حاسوبها أتَذكُرينْ؟ أتَذكُرينْ كيف انتظرتُكِ في الشارع ريثما وَقَّعت في سِجل دوامك وعُدت، أتَذكُرينْ –وبِالُمناسَبَة أنا من دَفعَ أجرتُكم– أتَذكُرينْ؟

أتَذكُرينْ المجمُوعات المسلَّحَة على شاشات التِلفاز؟ أتَذكُرينْ الأخبار العاجِلة؟ أتَذكُرينْ الأنباء الكاذِبَة؟ أتَذكُرينْ ساحة سعدالله المغلقة؟ أتَذكُرينْ كيف وقفنا في الشارع وكانَ مُزدَحِماً؟ أتَذكُرينْ عندما صَعدنا إلى التكسي وكان العَدّاد عند الله (والأجرة مو عَليكِ والدفع عَليّ أنا طَبعاً)، أتَذكُرينْ؟ أتَذكُرينْ كانَت المسافة أقَلّ مِنْ ثلاثة كيلومترات، واستغرَقَت حوالي ساعة، أتَذكُرينْ؟

أتَذكُرينْ الشوارع الضَيّقة وهي ذَهاب وإياب من أيام الفرنسيين؟ أتَذكُرينْ حواجز الأمن؟ أتَذكُرينْ الشَبّيحة؟ أرأيتِ كيفَ كُنتُ خائفاً من الشرطة العَسكَرية؟ أتعرّفين باني أكرهُ اللون الأحمر من أجلهم سيدَتي، أتعرفين؟ أتعرفين كانت الكهرباء مَقطوعة في كل أرجاء حلب، وكذلك إشارات المرور التي كادت تتسبب بحوادث خطيرة؟ أتَذكُرينْ الشوفير كيف (قتَل حاله كْرمّال خَمسين ليرة) وأنا دفعتها لَهُ، ليس شفقةً مني وإنما لإظهار لُطفي مع الناس أمامكِ، أتَذكُرينْ؟ أتَذكُرينْ عندما تَزلنا مِنْ التَكسي واتجهنا إلى البوابة

طريق إلى إحدى المدن السورية – عدسة جمال حسون

المحلية؟ أتَذكُرينْ بأننا دَخلنا مِنْ الجُزء المحرَّر مِنْ حَلب إلى الجُزء الموالي وسنخرج مِنهُ الآن؟ أتعرفين مَناطق النظام؟ أتعرفين كَم هي المسافة من الحَمدانيّة إلى السُليمانيّة ومِن السُليمانيّة الى المعبر؟ أتعرفين بِكم يُباع ليتر البنزين هُناك، أتعرفين الغَلاء الفاحِش أين وصل؟ أتعرّفين سيدتي ماذا يعني الحِصار؟ أتعرفين؟ هذا هو الجُزء المحتل سيدتي، هذا هو، فهل تعرفين ماذا يَعني المعبر؟

أتعرفين بأنهُ دَولةٌ في قلب دَولة، المعبّر سيدتي المعبر أتدرينْ؟ هو ليس اسرائيل والممانعة، وليس الخَط الأحمر، ولِسنا في الجَبهة لِتَحرير الجَولان ولِسنا في كَسب لِندخُل إلى لِواء إسكَندرون، أتعرفين سيدتي؟

هُنا كانَ يُباع الفُستق والزَعتر أتَدرينْ؟ ناهيك عن الصابون، أرأيتِ كيفَ كانَ الشَعْبْ يَهرُب والسَماء تُمطِر رَصاصاً، أرأيتِ الأرض التي تُنبِتُ مَقابراً، أرأيتِ حَبايِنا جيش النِظام قُرب ثانويّة الحكمة التي حينَما قَدَّمتُ فيها امتحانات الثانوية العامة في السنة الأولى ورسبتُ بسبب غرقي في عِشق صبيةٍ من ضيعتنا؟ أتعرفين سيدتي أتعرفين، هذا هو المعبر، المعبر ولسنا في الضفة الغربية لندخل إلى الأردن، أتعرفين؟

نحن هُنا في حلب سيدتي حلب وما أدراكِ ما حلب ؟ أم المحاشي والكَبَبْ وكذلك الطَرَبْ..

هُنا في المعبر فقط تمرُّ الناس وهي تَركُض، فقط هُنا يبكي الأطفال خِشية مِنْ صَوت المدافع، هنا فقط تَمُرُّ عَرَبات المعوقين، هُنا فقط يتاجرون بنا نحنُ السوريين، أتدرين سيدتي أتدرين بأني أكرهُ الكتابة على الورق، وأكسِرُ الأقلام ولا أرضى بالتكنولوجيا ديناً وبالعولمة رَسولاً؟ أتدرين سيدتي بأني أطالبُ بسقوط الأسد أتدرين؟

تُرى من سيتزوج أرملته وهي صَبية، مَن يا سيدَتي مَن؟

في دَاخلي حَيوان لا أعرف إن كان أليفاً، هو يتَحَرك دونَ إذني، حَيوان حاقِدٌ على كل شيء، لَكِنهُ يُحِب ساقي ابنة الجيران وهي تَشطُف الدرج.

أترين؟ هُنا يقف جيش النظام وبعد أمتار سنكون في الجزء المحرر، أتدرين بأني أكره جبهة النصرة؟ أتدرين بأنهم يمنعون التدخين والمشروبات الروحية التي ترُدُ الروح؟ أتدرين بأنهم يشوهون الإسلام؟ أتدرين بأنهم يطالبون بدولةٍ إسلاميَّة؟ وبخلافة أيضاً، أتدرين سيدتي أتدرين بأني لا أعرف كيف سنمرُ من المعبر، لكني سأدع شرودي جانباً، سأدعه ريثما تخبئينَ شَعركِ تحتَ القُبعَة كي نَمُر بأمان مع طِفلتكِ المشاكِسة، سَنمرُ مثل ما خرج من فلسطين عَربْ الـ ٤٨ وسنعودُ إلى حيّنا سَنعوُد كما غَنّى أطفالُ حَيفا.

ذات طفولة (١)

علي صدر الدّين حمّودي

بالروح.. بالدم.. نفديك ياحافظ
باللوح... بالتم... تفتيف يا حافس!!

كنّا حوالي المائة من تلاميذ مرحلة التّمهيدي في إحدى روضات الأسد، جميعنا لم تتجاوز أعمارنا عدد الأصابع في اليد الواحدة، وكانت هذه بداية مرحلة نضالنا ضد الاستعمار والصّهيونية، وانخراطنا في محور الممانعة والمقاومة الفلسطينيّة واللبنانيّة والسّوريّة والنيكاراغويّة، مائة من الأقزام

الزّرقاء نمشي في شوارع المدينة، نهتف بصوتٍ طفوليٍّ واحدٍ وراء أساتذتنا: «باللوح، بالتم، تفتيف يا حافس..» كانت هذه المفردات أكبرُ من أن تفهمها سنيننا القليلة في هذه الحياة القصيرة، وكانت مناسبةً شتائيّةً، وشتائيةً جدّاً، لندعم صمود القائد والوطن، ونفرك أصابعنا الناعمة وأكفنا التي لم تتجاوز مساحتها آنذاك مساحة الليرة العربيّة السوريّة المعدنيّة التي كان يتربّع عليها وحتّى الآن نسرٌ، (أو صقرٌ لا أعلم) ينظر شامخاً إلى البعيد، نفركها ببعضها والبرد والمطر ينهشها وينهش أجسامنا الغضّة، كان إلى جانبي أحد رفاقي الذي يقاتل الآن في إحدى كتائب الحرّ، أتذكر كلمته عندما قال لي بلهجته البدويّة الجميلة: «..أحييش شو برد !!»، ضحكت وفهمت أنّه كان يقصد (أح) بـ(أحيش)، والمسكين كان يحمل صورةً للقائد تبلغ أكثر من ثلث وزنه، ويحاول إقناع أحدٍ آخر بحملها ليستطيع دبّ الدّفئ في أصابعه المرتعشة،

وضمّها إلى بعضها أمام بخار أنفاسه الدّافئة، يتحوّل المطر البارد الذي كان يُرطّب أجسادنا إلى أرزٍّ! نظرت إلى الأعلى لأعرف إن كانت تمطر أرزّاً فعلاً، وهل ستمطر فجلاً بعدها؟!، كانت نساء الحارة قد شرعن بالقيام بواجبهنّ الوطنيّ المقاوم والممانع برش أرز (دفاتر التّموين) الطّويل علينا، قد يظن البعض أنني أتحدث عن قصّةٍ في إحدى مقاطعات كوريا الشّمالية تحت حكم (كيم جونغ إل)، أنا لم أذهب يوماً إلى كوريا، ولم أعرف كوريّاً قط، أنا أتحدث عن روضةٍ عاديّةٍ من روضات سوريا الكثيرة، في مدينة القطيفة مقر الفرقة الثّالثة حيث كنت أقطن عام ١٩٩٠ في زمن عزّ الأسد الخالد، أتذكّر يومها كيف عرّت أمي جسدي النّحيل الصّغير، وبدأت تنتقي حبيبات الأرزّ من شعري المبلل بالمطر، ومن ثيابي المبللة أيضاً، قبل أن تبدأ بغسل جسمي، لتعيدني إلى الفراش بعدها لأقضي نقاهةً من ثلاثةِ أيامٍ أتصارع فيها مع حرارتي والتهاباتي.

صور الجوع والكراهية

خضر سلمان

حبل غسيل في مخيم للنازحين السورين، ادلب – عدسة جمال حسون

لا وقتَ لديَّ ولا مشاعر ولا شيء، ما من مقالات، ما من نصوص، ما من شيء، لدي لكِ شيءٌ آخَر، فمن يدري؟ حتى يانعات الخدود قد يسقطن في الجوع والكراهية، أنا مثلاً كنت فتىً يانعاً وسميناً، وها أنا! القيعان غدارة، لا تخبركِ قبل السقوط لتستعدي، لا تفكري في شوارع الطفولة.

قادماً من شوارع المدينة التي لا يحدث فيها شيء، الشوارع الأليفة التي تحمل رائحتَين: أنا والبحر، ضائعاً في شوارع القاهرة التي تحمل روائح ثلاثين مليوناً ونيفاً إلا واحداً هو أنا، أبكي وأمشي، أمشي وأبكي، أتجنب النوم على الكرتون المفروش أو الزوايا الممهَّدة من الرصيف: فهي لا بد لمتشردٍ آخَر، وأنا ما زلت على أول الطريق. غالباً هنا في القاع عليّ القتال طويلاً والقيام بالكثير لإثبات الذات قبل أن أنال مترين شرعيَّين من الشارع، لا شيء في المدينة الحديثة بلا ثمن، لا شيء.

مبدئياً، لجوعٍ وتشرُّدٍ آمنَين، وحتى تسافر حبيبة صديقكِ التي تمر بالقاهرة لتمارس الورد، حتى يشتاقَ أحدهم إليك، حتى يدعوك أحدٌ لشيء، حتى يقول أحدٌ لك شيئاً (ففي شرع القاع لا يقول أحدٌ شيئاً لأحد، حتى بائع الكشك حريصٌ على القانون: لا كلام، يعطيك السجائر الثلاث بجنيهٍ ولا يمنحك عينيه.. ابن الحرام، كيف عرف أن روحي جائعةٌ للنظر في عينَي إنسان؟)، حتى يحدث شيء، أنتِ في هذا القفص المفتوح، فأجيدي العضَّ على القلب، أجيدي لجم الكراهية، فأنت أول الخاسرين من الكراهية، كل الحكايات تقول هذا .

لا تفكري بأمك، لأن هذا سيحيلك إلى الجنون، والانتهاء بين أحضان ثماني أو تسع قططٍ نحيلةٍ وقذرة، تبادلك اللعق والحنان وإشباع رغبة التواصل، لا تنتبهي إلى الشبه بينك وبينها أيضاً، هذا مهم، لأن دموعك ستسيل من مساماتك لا عينَيك: حين تصلين إلى ملاحظةِ كيف تهرب هي أيضاً من الكرتون والزوايا الممهَّدة، وكيف ترتجف خوفاً كلما مر أحدهم.

البنات؟ إياك، إياك أن تفكري في هذا أيضاً، وإياكِ أن تتبعي العطر، فواضعات العطر لن يحبْنَ عينيك الدائختين بالحزن والمخدرات، وملابسك القذرة، وصوتك الميت التعابير، ووحشتَك الملهمة إلا في فيلم. حالمةٌ سكرانة تملك بيتاً وطعاماً، ومستعدةٌ لمنحك ثانيتَين من صمت العيون، ثانيتَين فقط، هي حلمٌ مستحيل، وأنتِ في أكثر ألعاب الممكن وحشيةً، البنات؟ إياك..

يمكنكِ أن تقلبي المفردات، ضعي (الفتيان) أو شيئاً آخر مكان (البنات)، الجانب الموضوعي من الذات يموت ويجري أمام عينيكِ إلى فتحات الصرف الصحي، عندما تعلو الكراهية ويتضخم الجوع كبالونةٍ في القلب، فاعذريني.. ظننتكِ ستفكرين بالبنات أيضاً.

واعلمي، أطعمَكِ الله، أو الشيطان، اعلمي أطعمَكِ أيُّ عابرٍ حسَن المزاج، أن لا أحد يموت جوعاً، من ماتوا من الجوع ماتوا من القهر في الحقيقة.

الإخوان الأغبياء، ما ضرهم لو صمدوا يومين آخَرين؟ كان النوم في خيم التحرير جنة، وكان الشاي والعيون بالمجّان.

يااا يا صديقتي، قفي عند أي عربةٍ وستجدين من يمنحكِ سندويشةً أو كوب شاي، والأهم: عينين ترمقانك لثانيتين أو ثلاث.

بلى، الاكتراث بالزمن عاديّ، إنه عرضٌ جانبي، ولكنه لا يؤذي كالطفولة والأم والبنات. عَدُّ الوقت هو الدرع الأخير ضد السأم، الرغبة في تفكيك الوقت: حين يكون الوقت مفتوحاً ومطلَقاً، حين لا شيء تنتظرينه.

وكما في المعتقَل، كوني متلقيةً ومطواعة، لا تبادري بشيءٍ وأنتِ على أهبة الكراهية، والعبي مع صور الأحبة لعبةَ التقبيل، هل تعرفين لعبة التقبيل؟ أن ترسمي على هواء الليل البارد صور من تحبين، عيونهم ولحظات المعانقة، خدوداً كنتِ قد لمستها حناناً، أيدٍ كانت قد لامست شعرك، أذرعاً لفتكِ في أمنٍ وثقة، ثم أن تقبليها واحدةً واحدة، وإذا مر عابرٌ وأفلت ضحكة سخرية، فلا تبخلي على أمه بشتيمةٍ محترِفة، فالعابرون يخشون منا نحن معشر القاع. لن يستطيع أن يؤذيكِ.

لا تصلّي لأجلي، لكن انزلي إلى الشارع، وأعطي سندويشةً إلى متشردٍ بائس، فهو بحاجتها، وإذا شتم أمك فافهمي عليه، إنه يحتاج إلى المزيد من الطعام، لكنه لا يجيد الكلام بطريقةٍ أخرى، فهو أسير الكراهية، انتشليه، لن ينسى لكِ الله هذا، إذا كان الله مهتماً بأن يثبتَ لكِ أنه موجود. أكره كم شعركِ مناسبٌ للبحر. أنا الآخر أسيرٌ للكراهية، قولي لشعركِ ألا يكره يا هذه، فهو جميل.

عاشق المحار

غطفان غنوم

وأتذكرك..
كوعدٍ قطعته على كل القصائد
فأنا مرغمٌ أن أقفّي وطني
بالشامة التي تزين خدك..
ومرغمٌ أن أزن بيوته
وقطاع الطرق في زواياه
على تفعيلات بحورك..
وأنت التي بحارك
لم يستطع لغويٌّ أن يقلّم أمواجها بكلمات..
ولا أن ينظم قاعها شاعر
بمراسي السليقة فيه..
أو أن يشقّ عبابها مركب عاشقٍ
بتوسلاته ..
ولا استطاع راكبو الأمواج
أن يروضوا مدها وجزرها
البريان كرقص الغجر..
وحدي أنا الذي تجرأ
أن يسبح على خطوط العرض
والطول فيك
وأن ينقذ لون الغروب
من الغرق في مقلتيك ..
أنا الغطاس الذي حاول الفوز
بمحارتين في صدرك..
وبحقل المرجان المتمايل
عند الجروف الخطرة المنزلقات
لخاصرتيك..
وأنا من فرّق أسراب النمش
السابحة على ظهرك
لتتكاثر في مصب الفقرات ..
ولم أخف من التيارات العاطفية
والمزاجات اللولبية
ولا من مفترسات الغيرة
التي تجوب عوالمك المجهولة ..
ولم ترعبني القروش الحاسدة
التي ترصد رائحة الطلع
لدى اقترابي من وساوسك
القهرية ..
أنا مستكشف القارة السادسة
في مداك
وقارتي التي اكتشفت
أوسع
وأكثر غموضاً
وإثارة
وغنى
من أمريكا
وسكان قارتي الأصليون
أجمل وأعرق
ولم يحاربوني
وأطعموني جوز الهند
على شفتيك..
واحتفلنا في الليل حول جذعك
ودرنا حول النار
ونصبنا الخيام ..
فليمت كولومبس بغيظه
ولينعم باكتشافاته الجغرافية
فأنا الأعظم
واكتشافي لك لا ترهنه خطة
ولاميزانية
ولا تحجمه جغرافية أو قرار
ملك طماع
وليحاول أحد أن يقتفي أثري
ولن ينجح
فقد أحرقت مراكبي كلها
عندما رسوت على شواطئ
أحلامك
وأصبح البحر خلفي
وأنت أمامي بكامل أشجارك المثمرة
المثقلة بالفواكه المحرّمة
وحكايا الصدف الذي تتغنى
بعراقة التاريخ في جسدك..
ولتنطلق البعثات العلمية والتاريخية
والمغامرون
خلفي
فلن يجدوا على رمالك
إلا آثار أقدامي ..
ولافتة كتبت عليها:
(هنا عاش عاشق المحار)
أنا لم أؤرخ تاريخاً لموتي فيك
وقبري ليس له شاهدة
وغير معروف ..
أنا امتلكت خلودي
إذ وطأت العزلة
في رحابك
أنا روبنسون كروزو الذي
اختار التنسك طواعية
في غياهب عشقك ..
لن أكتب رسائل في القوارير
وأرميها في الماء ..
ولن أتكلف أي عناء
وأدون أيامي كشقي..
فأنا أريدها متشابهةً ومكررة
لأنني في حضورك
وسأترك شعري كإلهٍ

إغريقي
ولحيتي كشيخ البحر..
وأرجع آدماً جديداً
عارياً
ولكن بضلوع كاملة ..
لآكل من ثمارك المحرمة
وأطرد مرةً أخرى
وأكرر إثمي كلما جعت
وليعلم سكان القارات كلهم
أنني وحدي من حارب قراصنة
الإغراء
والإغواء
الذين يجوبون قطبيك ...
فهزمت ألف مرة
وأسرت ألف مرة
وهربت ألف مرة
ولكنني لم أستسلم
وزودت أساطيلي بأحدث مدافع
الشوكولا
والزنابق المضادة للنظرات
والشعر والنثر المسماريان
وأعدت الكرة كدقات القلب..
التي لاتتعب
وكانت ذات سواري جديدة بيننا
ولم تنفع وساطة النوارس
للتهدئة
ولاتدخّل الريح
ولا غضب الإسفنج البحري ..
ولا العقوبات بمنع الإبحار
في عينيك ..
أو بعثات تقصي الحقائق
فالحرب حرب
وأنا أريد الانتصار..
ومصرٌّ أن اقتحم شعابك
المرجانية
وأطلق الفقاعات نحو سطح
هزيمتك ..
وهكذا استمرت المعركة
وبدأ جنودي يتعبون
وعندما مات صبري بغمزة
طلبت الهدنة
ولم ترحميني ..
واستنجدت بحلفائي من العشاق
فلم يغيثوني
فالكل متورطٌ في حروبه
الإقليمية
واستسلمت
وعقدت شروط الاستسلام
الشامل لا العادل..
وصرت العبد الذي ينزل الأشرعة
في سفن قراصنتك
متحيناً فرصة الانتفاض..
وكافحت
ودبّرت المكائد
وأعلنت تمردي على قيادتك
وعاندت
وباء تمردي بالفشل
فأنا لم اقدر أن استقطب ولاء
نبضك المحرك للسفينة
وعينيك الحذرتين
ونهديك الحارسين لسطح السفينة
وشفتيك المخططتين
لارتكاب أفظع القبل ..
ولا حتى ذلك الطباخ العجوز
الساكن في صدرك
فقد كان ذو خبرة
ويدق أبواقه معلناً النفير
كلما حاولت أن أهرب
بقارب نجاة ..
وهكذا يا حبيبتي
فقد تعودت على عواصف نزواتك
واسمرت بشرتي
ولم أعد أخاف من دوار الحب
والتنقل في البحار
وأعترف أمام الجميع
بأني سرقت مرة
إحدى خرائط الكنوز في جسدك
ولكني لم أفلح بأن أفك رموزها
فأنت متاهةٌ شديدة التعقيد
ومازلت أبحث عن طريقي
للخروج منك ..
وأعترف أيضاً
بأني وجهت دفة السفينة ذات مرة
باتجاه مضائقي
علّي أحاصرك ..
وطلبت تدخلاً أجنبياً من
الموسيقا
وقطعة الكيك
وكأس النبيذ
ولكنك عرفت بأن اتجاه
السفينة قد تغيّر
فرائحة الملح على رقبتي
قد اختلطت بالخوف
ورغم إنكاري
فهل عرفت ؟
وهل عرفتم؟
بعد كل هذه الحروب
والاكتشافات السندبادية
لماذا أتذكرك كوعدٍ قطعته
على كل القصائد؟

هوا سمارت

دمشق.حمص.حماه

103.2

99.6

حلب.ادلب.اللاذقية

راديو الكل

العاصمة أون لاين

هنا الشام

من الساعة

12 ظهراً - 12 مساءً

وتر واحد لا يطرب

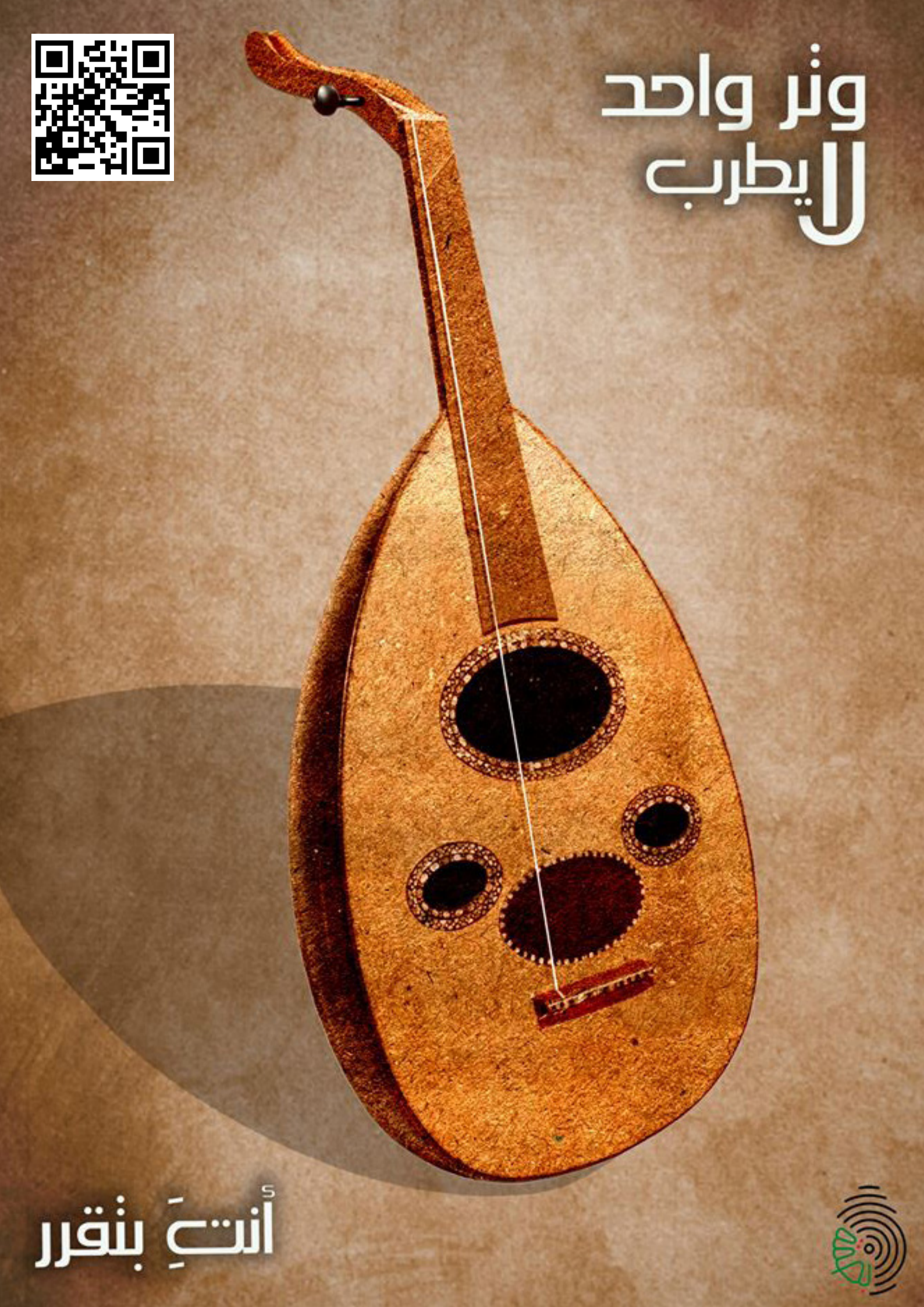

أنتِ بنقرر